دولة ليبيا
وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

الجامعة الأسمرية الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والإمامة والخطابة

شعبة الدعوة والثقافة الإسلامية

# الإمام مالك ومنهجه في الدعوة

رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير)

في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالب: حسن محمد سالم الفيتوري

إشـــــراف: د. محمد اوحيدة أحمد اوحيدة

1445هـ/2024م

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الله قيض لهذا الدين الذي ارتضاه لخلقه دعاة يبلغون أمره، ورجالا يحملون رسالة نبيه، بدءا من الصحابة الكرام، ومن بعدهم من التابعين الأخيار، فكان أول الدعاة بعد الرسول-صلى الله عليه وسلم- أصحابه الكرام-رضوان الله عنهم-فازداد الإسلام بهم انتشارا، وعلى أيديهم دخل الناس في دين الله أفواجا، ثم جاء مَن بعدهم فأخذوا عنهم، وساروا على نهجهم، واستمروا في نشر الرسالة؛ فكان منهم العلماء، والدعاة، والعُبَّاد، والزهاد؛ ومن هؤلاء إمامنا أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه ينسب المذهب المالكي، فهو إمام دار الهجرة، وعلم من أعلام الفقه والحديث والدعوة إلى الله-سبحانه وتعالى-.

ومن المعلوم أن علم الدعوة لم يكن فيما مضى علما مستقلا كما بدأ يظهر اليوم، وإن كانت مفرداته وأصوله موجودة ضمن علوم الشريعة الأخرى، ويجدها القارئ مسطرة في كتب أئمة الإسلام، لذا فإن العبء عظيم على البحاث في استخراج المناهج الدعوية من جهود أئمتنا العظام، من أمثال إمامنا الإمام مالك بن أنس.

**موضوع الدراسة:**

علم الدعوة من العلوم التي مقصدها إيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة، وللاطلاع على هذه المنهجية يتطلب معرفة المناهج الدعوية لدى أئمة المسلمين وعلمائهم؛ لأنهم طبقوا هذه المناهج في حياتهم الدعوية وإن لم يصرحوا بها، ويمكن للباحث استنباطها من سيرتهم ومما تركوه من ثروة علمية وعملية في الدعوة إلى اللّه-تعالى-، والإمام مالك مِن أبرز علماء المسلمين الذين امتازوا في الجوانب العلمية والدعوية؛ من أجل ذلك سيكون موضوع هذا البحث: (الإمام مالك ومنهجه في الدعوة).

**أهمية الدراسة:**

كل علم يشرف بمتعلقه وما يهدف إليه ويرمي إلى تحقيقه، وعلم الدعوة من أشرف العلوم؛ وذلك لتعلقه بنشر دين الإسلام وما يهدف إليه من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، وهي رسالة الأنبياء والرسل-عليهم الصلاة والسلام-، ووظيفة الدعاة والأخيار من بعدهم إلى قيام الساعة، والدعوة ليست كلمة عابرة أو مصطلحا عائما، بل هو نور من اللّه-تعالى-ووحي منه إلى نبيه-صلى اللّه عليه وسلم-، ثم قام بتلقينه لصحابته -عليهم رضوان اللّه-، ثم جاء جيل في كل عصر يحمل هذه الرسالة، ويسلك منهج النبي-صلى اللّه عليه وسلم-في الدعوة.

ويستمد هذا الموضوع أهميته كونه يبين منهج أحد الأئمة العظام الذين ما زالت مآثرهم سراجا ونورا في طريق الدعوة، فمعرفة مناهج العلماء في الدعوة له أثر كبير في إنارة طريق الدعاة؛ فقد سلكوا طريق الدعوة وعرفوا صغيرها وكبيرها، والوقوف على مناهجهم يسهل على الدعاة الكثير من العقبات، ويصحح لهم الطريق ببيان منهج أحد أئمة المسلمين المبرزين، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة.

**مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:**

**تتلخص الإشكالات والتساؤلات التي يحاول الباحث دراستها في السؤال الرئيس:**

**ما معالم منهج الإمام مالك في الدعوة إلى اللّه-تعالى-، وكيف يمكن التأصيل له؟**

**ويندرج تحت هذا السؤال الأسئلة الفرعية:**

- **ما الأصول الدعوية التي يعتمد عليها الإمام مالك؟**
- **ما المقومات الدعوية في شخصية الإمام مالك؟**
- **ما الأحكام الفقهية العملية في المجال الدعوي عند الإمام مالك؟**

**أهداف الدراسة:**

**يمكن إيجاز أهداف هذه الدراسة في:**

- **بيان منهج الإمام مالك في الدعوة إلى اللّه -تعالى-.**
- **إبراز المقومات الدعوية في شخصية الإمام مالك، والعوامل التي صقلتها.**
- **معرفة الأصول الدعوية التي اعتمد عليها الإمام مالك، وأسس عليها منهجه الدعوي.**
- **دراسة معالم المنهج الدعوي عند الإمام مالك.**

## أسباب اختيار الموضوع:

أهم الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

1- الإمام مالك إمام المذهب المالكي السائد في ليبيا منذ القدم، والدراسة لها عمق في المحافظة على هوية المجتمع وتراثه الإسلامي، فالمذهب المالكي كان سببا في تماسك المجتمع ووحدته، وربط الموضوعات به له أثر في الرجوع إلى وحدة الصف في المجتمع الليبي.
2- الحاجة إلى تأصيل علم الدعوة، وربطه بمنهج الأئمة والفقهاء المتقدمين، واستيضاح منهجهم الذي سلكوه في الدعوة.
3- لم يجد الباحث-فيما اطلع عليه-بحثا أفرد حول منهج الإمام مالك في الدعوة إلى الله-تعالى-.
4- يعد الإمام مالك علما من أعلام الأمة الذين لهم منهج واضح، ساروا عليه مدة حياتهم، وكان لهذا المنهج الأثر الواضح في حياته، وبعد مماته.
5- الاستفادة من المنهج الدعوي للإمام مالك في وقتنا الحاضر؛ ليسير عليه الدعاة في عصرنا الحالي.
6- استكمال متطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) وفقا للأحكام المنظمة لشؤون التعليم العالي.

**منهج الدراسة:**

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال كتب الإمام مالك، وما أثر عنه في المراجع والمصادر المتعددة؛ حيث استنتج الباحث ما أمكن فيما له علاقة بمجال الدعوة، وهذا لا يتم إلا بعد استقراء حياة الإمام مالك، وآرائه وضم بعضها إلى بعض، لتعطي صورة متكاملة عن منهج الإمام في الدعوة.

**منهجية الدراسة:**

تتلخص منهجية البحث في:

- جمع كل ما يجده الباحث في المصادر والمراجع عن الإمام مالك وتحليها وبيانها مما يخص الدعوة إلى اللّه-تعالى-.
- تصنيف النصوص التي جمعت حسب مناهج الدعوة وأساليبها.
- توثيق النصوص وإسنادها لمصادرها الأصلية من كتب السير والتاريخ والتراجم.

**الدراسات السابقة:**

اطلع الباحث على عدد من الدراسات العلمية التي تناولت شخصية الإمام مالك من جوانب تختلف عن دراسة الباحث، فجاءت الدراسات العلمية التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها على النحو التالي:

1- (الإمام مالك بن أنس محتسبا)، وهي رسالة ماجستير للطالب: عبد الرحمن أبانمي، نوقشت هذه الدراسة عام 1405هـ -1406هـ في كلية

الدعوة والإعلام -جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

ذكر صاحب هذا البحث أن الهدف من دراسته معرفة جوانب الاحتساب عند الإمام مالك وهي: احتساب مالك في طلب العلم وتعليمه، واحتساب مالك في الإفتاء والقضاء، واحتساب مالك مع الولاة والأمراء، واحتساب مالك مع عامة المسلمين، ويتبين من مباحث هذه الدراسة أن الدراسة كانت متعلقة بالجوانب التي كان يحتسب فيها الإمام مالك الأجر من اللّه-سبحانه وتعالى-دون دراسة المنهج الذي سار عليه مالك في الدعوة إلى اللّه، وهذا المنهج هو ما سيكون موضوع دراستي في هذا البحث.

2- (الفكر التربوي عند الإمام مالك بن أنس)، وهي رسالة ماجستير للطالب: محمد الشهري، وقد نوقشت بتاريخ: 1433/7/20هـ في قسم التربية الإسلامية والمقارنة-كلية التربية -جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ذكر صاحب البحث في هذه الدراسة أن الهدف من دراسته: معرفة نشأة الإمام مالك بن أنس والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري، والكشف عن ملامح الفكر الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي عند الإمام مالك، والكشف عن ملامح الفكر التعليمي لدى الإمام مالك.

ويتبين من عنوان الدراسة وأهدافها أنها متعلقة بالجانب التربوي، ويعد الجانب التربوي أحد مجالات الدعوة الواسعة، فالفرق بينها وبين

دراستي هذه: أن بحثي يشمل مجالات الدعوة، بخلاف هذه الرسالة التي ركزت على الجانب التربوي دون غيره من المجالات الأخرى، كما أنها ركزت على الجوانب الشخصية التربوية للإمام مالك دون ذكره للجوانب الدعوية، وكيفية تعامل الإمام مع أطياف المجتمع في الدعوة إلى اللّه-تعالى-.

3- الندوات والمؤتمرات.

أولا: (ندوة الإمام مالك في دولة المغرب/ عام 1980م):

أقيمت هذه الندوة في دولة المغرب عام 1400هـ/1980م، وشارك فيها عدد من العلماء والمشايخ من مختلف الدول الإسلامية، وقد تناولت أبحاثهم دراسة شخصية الإمام مالك من حيث كتاباته في: الفقه، وأصول الفقه، والحديث النبوي وعلومه، وسيرته مع الخلفاء، والجانب السياسي في حياة الإمام مالك، ولا شك أن بعض هذه الجوانب سيتناولها الباحث في دراسته، إلا أن المنهج الدعوي للإمام مالك وهو أساس دراسة الباحث، لم تتناوله هذه الندوة بالصورة التي اخترتها في هذه الدراسة.

ثانيا- (مؤتمر الإمام مالك بالجامعة الأسمرية الإسلامية/ ليبيا 2013م):

أقيم مؤتمر الإمام مالك الأول بالجامعة الأسمرية الإسلامية بمدينة زليتن-ليبيا-عام 1435هـ-2013م، وتناول المؤتمر شخصية الإمام

مالك من جوانب عدة؛ وذلك عن طريق بحوث علمية، وأوراق عمل، ومحاضرات ألقاها عدد من الباحثين من مختلف البلاد الإسلامية.

تناولت هذه البحوث والأوراق والمحاضرات الإمام مالكا من الجانب العقدي، وجهوده في علوم القرآن، وموقف الإمام من الفرق، ومنهج الإمام في التعليم والتربية، ومنهجه التربوي والاجتماعي، ولا شك أن بعض عناصر هذه البحوث تتناوله دراستي، إلا أن أساس دراسة الباحث هو المنهج الدعوي للإمام مالك؛ وهذا الجانب لم يتطرق إليه أي بحث من البحوث المقدمة إلى المؤتمر.

**ثالثا- (المؤتمر العلمي بجامعة المرقب/ ليبيا 2019م-المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي.. جذورها- تراثها- أعلامها):**

نظم المؤتمر كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب بمدينة الخمس في ليبيا عام 1441هـ-2019م.

وتناول المؤتمر عن طريق بحوث علمية، وأوراق عمل، ومحاضرات المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي من حيث جذورها وتراثها وأعلامها.

وكذلك الحال؛ فإن بعض عناصر هذه البحوث والأوراق العلمية تتناوله دراستي، إلا أن أساس دراسة الباحث هو المنهج الدعوي للإمام مالك؛ وهذا الجانب لم يتطرق إليه أي بحث من البحوث المقدمة إلى المؤتمر.

**مخطط الدراسة:**

**قسم الباحث دراسته إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.**

**المقدمة: أهمية الدراسة، ومشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وأهدافها، ومنهجها.**

**الفصل الأول: المقومات الدعوية في شخصية الإمام مالك وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك.**

**المبحث الثاني: المقومات الدعوية في شخصية الإمام**

**الفصل الثاني: المرتكزات العامة للمنهج الدعوي عند الإمام مالك وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: العلاقة بين علوم الشريعة والدعوة.**

**المبحث الثاني: المنهجية الدعوية عند الإمام.**

**الفصل الثالث: الصفات والأساليب الدعوية عند الإمام مالك وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: الصفات الدعوية.**

**المبحث الثاني: وسائل وأساليب الدعوة عند الإمام .**

**وأخيرا: الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.**

# الفصل الأول

## المقومات الدعوية في

## شخصية الإمام مالك

## تمهيد:

يحاول الباحث في هذا الفصل أن يبرز المنهج الدعوي عند إمام دار الهجرة؛ فقد تشكل هذا المنهج مع المذهب الفقهي ليكونا منهاجا إسلاميا متكاملا، أسس على نصوص ثابتة، وقواعد رصينة، ولايعني التركيز على جانب الفقه والحديث عند الإمام مالك غياب المنهج الدعوي عنده، ففي صدر الإسلام لم يكن هناك تمايز للمعارف والفنون، وكان علم الشريعة يعرض متكاملا يشمل العقيدة والفقه والتفسير والحديث، وغيرها من العلوم، وقد قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين على النحو التالي:

## المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك

يتناول هذا المبحث ترجمة الإمام مالك وقد جاء في ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: نسب الإمام مالك

اتفق أهل التراجم على أن نسب الإمام مالك هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيْمان بن خُثَيْل الأصبحي[1].

والأصبحي يرجع نسبه إلى قبيلة من قبائل اليمن، فالإمام عربي من عرب اليمن، كماجاء في كتب الأنساب العربية، فقد جاء في كتاب عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي: "الأصبحي: منسوب إلى ذي أصبح، واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن عامر بن ربيعة بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب، منهم مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة"[2].

وقد ورد تأكيد نسب الأصبحي إلى ذي أصبح اليمني العربي في كتاب وفيَات الأعيان حيث جاء فيه: "والأصْبَحي: بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة، وبعدها حاء مهملة، هذه النسبة إلى ذي أصبح، واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو من يعرب بن قحطان، وهي قبيلة كبيرة باليمن"[3].

وقد دلت هذه الروايات على أن ذا أصبح من ولد قحطان، مع اختلاف بينهم في أسماء سلسلة النسب[4]، وروى ابن عبد البر[5] بسنده أن أبا

---

(1)- ترجمته في: الانتقاء لابن عبدالبر 38، وترتيب المدارك للقاضي عياض 104/1، والديباج المذهب لابن فرحون 80/1، مع اختلاف أسماء بعض أجداد الإمام مالك بين تقديم وتأخير، أو إبدال اسم بآخر.

(2)- عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر الحازمي 18.

(3)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان1/ 138.

(4)- ينظر ترتيب المدارك للقاضي عياض106/1 .

(5)- هو: "يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الحافظ، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدّثيها في وقته، وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة... مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام"ترتيب المدارك للقاضي عياض 127/8.

مصعب الزهري[1] قال: "مالك بن أنس من العرب صليبة، وحلفه في قريش في بني يتيم بن مرة"[2].

كل هذه الروايات السابقة دلت على أن الإمام مالكا عربي الأصل، وليس كما ذكر محمد بن إسحاق[3] أن الإمام مولى لبني تيم[4]، ولما ذكر القاضي عياض[5]عددا من أهل السير والنسب الذين أكدوا أن الإمام مالكا من عرب اليمن قال: "ولم يتابع منهم-زعماء قريش ونسابها-ابن إسحاق على قوله ممن جاء بعده بل بينوا وجه وهمه"[6]، وبين القاضي عياض السبب في وهم محمد بن إسحاق فقال: "قال أبو سهيل[7]عم مالك: نحن قوم من ذي أصبح، قدم جدنا المدينة فتزوج في التيميين، فكان معهم فنسب إليهم"[8].

وذكر القاضي عياض أسبابا أخرى فقال: "فالبسبب الذي تقدم لهم من الالتفاف بتيم، إما بالحلف على الأشهر والصحيح، أو بالصهر انتسبوا للتيميين، فظن ابن إسحاق، ومن لم يحقق الأمر أنهم مواليهم؛ إذ لم يكن لهم نسب معروف[9]، والذي يؤكد انتساب آل مالك إلى التيميين بالحلف

---

(1)- هو: "أبو مصعب أحمد بن القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عوف الزهري: قاضي المدينة، وعالمها، الفقيه، الثقة، الثبت، روى عن مالك الموطأ، وغيره، وتفقه بالمغيرة، وابن دينار، وله مختصر في قول مالك المشهور روى عنه البخاري، ومسلم، والذهبي، واسماعيل القاضي، والرازيان، وغيرهم مات بالمدينة سنة242 هـ 856 م" شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف في طبقات المالكية 1/87.

(2)- الانتقاء لابن عبدالبر 38.

(3)- هو: "محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع، والقدر، من صغار الخامسة مات سنة خمسين ومائة، ويقال بعدها خت م"تقريب التهذيب لابن حجر467.

(4)- ينظر ترتيب المدارك للقاضي عياض1/ 107.

(5)- هو: "أبو الفضل: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي الإمام العلامة يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل،...كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه عالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم بصيرا بالأحكام،...كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه عالمابالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم بصيرا بالأحكام، توفي عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، وله التصانيف المفيدة البديعة منها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم ،ومنها: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أبدع فيه كل الإبداع،...وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل، وكتاب ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام، وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع"الديباج المذهب لابن فرحون 2/ 46، 49.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض11/ 108.

(7)- هو: "نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي التيمي، أبو سهيل ابن أبي أنس المدني، ثقة من الرابعة، مات بعد الأربعين ع"تقريب التهذيب لابن حجر 558.

(8)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1 /111.

(9)- المصدر نفسه1 /112 .

ما رواه ابن سعد[1] بسنده عن عم الإمام مالك بن أنس عن أبيه أنه قال: "بينما نحن بطريق مكة في حج، أو عمرة تحت قفلة: يعني شجرة، إذ قال لي عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله[2]: يا مالك! قال قلت: ما تشاء؟ قال: هل لك إلى ما دعانا إليه غيرك فأبيناه عليه؟ قال قلت: إلى ماذا؟ قال: إلى أن يكون دمنا دمك وهدمنا هدمك ما بل بحر صوفة، قال مالك: فأجبته إلى ذلك، فعدادهم اليوم في بني تيم لهذا السبب"[3]، أما ما ثبت عن الإمام الزهري[4] في روايته عن عم الإمام مالك في قوله: "أخبرني ابن أبي أنس، مولى التيميين"[5]، فقد فسر ابن حجر[6] قول الزهري: "مولى التيميين" بأن المراد به هو: حلفهم مع التيميين فقال: "قوله مولى التيميين أي: مولى بني تيم، والمراد منهم: آل طلحة بن عبيد

---

[1]- هو: "محمدبن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم البصري، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، صدوق، فاضل من العاشرة، مات سنة ثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتين وستين د"تقريب التهذيب لابن حجر 480.

[2] - هو: "عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، ابن أخي طلحة يقال له: شارب الذهب، صحابي، قتل مع ابن الزبير، م د س"تقريب التهذيب لابن حجر346.

[3]- الطبقات الكبرى لابن سعد 5 / 63 ، وأخرجه البخاري في التاريخ الأوسط 1/ 169.

[4]- هو: "محمدبن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه، الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وثبته، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين، وقيل قبل ذلك بسنة، أو سنتين ع"تقريب التهذيب لابن حجر506.

[5]- حديث ابن شهاب أخرجه البخاري كتاب الصيام، باب هل يقال: رمضان، أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا، بسنده عن يحيى بن بكير، قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن أبي أنس، مولى التيميين: أن أباه، حدثه أنه، سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»، وأخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، من غير قول ابن شهاب الزهري:"مولى التيميين"، وأخرجه النسائي كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان، ثم ذكر النسائي الاختلاف على الزهري فيه، ومما يجدر الإشارة إليه أن الباحث لاحظ أن الرواة عن الزهري قد اختلفوا على الزهري في ذكرهم للفظة"مولى التيميين"، ففي حديث شعيب بن أبي حمزة، وهو "أثبت الناس في الزهري"تهذيب التقريب لابن حجر267، وعقيل بن خالد، وهو"ثقة ثبت" تقريب التهذيب لابن حجر 396، كلاهما عن ابن شهاب ذكرا فيه: "مولى التيميين"، وفي حديث محمد بن إسحاق، وهو"صدوق يدلس"تقريب التهذيب لابن حجر 467، عن الزهري فيه:"عديد بني تيم"، والعديد المراد به: أنه واحد منهم، جاء في لسان العرب283/3:"وفلان عديد بني فلان أي: يعد فيهم"، فجاءت رواية ابن إسحاق متابعة لرواية الثقات من أصحاب الزهري.

وفي رواية صالح بن كيسان وهو"ثقة ثبت فقيه" تقريب التهذيب لابن حجر 273، و يونس بن يزيد، وفي روايته عن الزهري وهم، يقول ابن حجر:"ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلا، وفي غير الزهري خطأ"تقريب التهذيب لابن حجر 614، كلاهما عن ابن شهاب من دون لفظ:"مولى التيميين"، فالخلاصة: أن لفظ "مولى التيميين" محفوظة ثابتة عن الزهري، وقد أخرجها البخاري كما سبق ذكره، وأما الرواة الذين لم يذكروها من حديث ابن شهاب، فلعل الزهري مرة يرويها لبعض أصحابه، ومرة لا يرويها، فتحمل كل واحد ما سمعه، وأداه كما سمعه، وما يؤكد ذلك ثبوت الروايتين في الصحيحين.

[6]- هو: "أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد.. الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، ولد في ثاني عشري شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة،...زادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفا، ورزق فيها من السعد والقبول خصوصا فتح الباري بشرح البخاري الذي لم يسبق نظيره أمرا عجبا...توفي في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي2/ 36، 40.

اللّه، أحد العشرة، وكان أبو عامر والد مالك قد قدم مكة فقطنها، وحالف عثمان ابن عبيد اللّه أخا طلحة؛ فنسب إليه، وكان مالك الفقيه يقول: لسنا موالي آل تيم، إنما نحن عرب من أصبح، ولكن جدي حالفهم"[1].

فالإمام يرجع نسبه إلى أسرة عربية من قبائل اليمن، يقول عبد الحليم الجندي: "والمشهور أن مالك بن أبي عامر جاء من اليمن، وقيل: إن عامرا هو الذي قدم يشكو الوالي فلقي عبد الرحمن بن عثمان ابن عبيد اللّه التيمي فصار بينهما حلف أو ولاء"[2]، ويقول الخولي: "خرج مالك بن أبي عامر-جد مالك بن أنس-إلى الحجاز متظلما، مما لحقه من والي اليمن إذ ذاك، لكن يبدو أنه خرج على أن يبقى في الحجاز"[3]، ويقول الدقر: "فالإمام مالك عربي صليبة، حميري يعربي، اتفق على ذلك الجلة من علماء الأنساب وعلماء الرجال"[4].

---

[1]- فتح الباري لابن حجر4/114.

[2]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الحليم الجندي 53.

[3]- مالك تجارب حياة لأمين الخولي47.

[4]- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر22.

## المطلب الثاني: مولد الإمام مالك ووفاته

اختلف أصحاب التراجم في عام ولادة الإمام مالك على أقوال فقال بعضهم: إن الإمام مالكا ولد عام إحدى وتسعين من الهجرة، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين[1]، وقيل :خمس وتسعين[2]، وقيل: ست وتسعين[3]، وعند ذكر ابن عبد البر لهذه الروايات أشار إلى أن غير هؤلاء يقولون: "ولد مالك بن أنس عام سبع وتسعين من الهجرة"[4].

أما القاضي عياض فقد أشار إلى اختلاف أهل السير، والخبر في ولادة الإمام مالك، ورجح ما رواه يحيى بن بكير[5]أن ولادة الإمام كانت عام ثلاث وتسعين، يقول القاضي: "اختلف في مولده- رحمه اللّه تعالى-اختلافا كثيرا، فالأشهر فيما روي من ذلك قولُ يحيى بن بكير أن مولده سنة ثلاث وتسعين"[6]، وقد رجح ابن فرحون[7]في ديباجه ما رجحه القاضي عياض فقال: "اختلف في مولده اختلافا كثيرا، فالأشهر قول يحيى بن بكير أنه: عام ثلاث وتسعين من الهجرة"[8].

وأقرب الأقوال للصواب: أن عام ولادة الإمام مالك هي: ثلاث وتسعون للهجرة، وقد ثبت ما يؤيدها، وهي رواية يحيى بن بُكَير، وقد

---

(1)- الانتقاء لابن عبد البر 36،37 .

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1 / 118.

(3)- المصدر نفسه1 / 118.

(4)- الانتقاء لابن عبد البر 37 .

(5)- هو: "يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي، مولاهم المصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة في الليث، وتكلموا في سماعه من مالك، من كبار العاشرة، مات سنة إحدى وثلاثين وله سبع وسبعون، خ م ق"تقريب التهذيب لابن حجر 592.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض118/1 .

(7)- هو: "قاضي المدينة المنورة، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي الحسن علي بن فرحون المدني، الشيخ الإمام العمدة الهمام، أحد شيوخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام، وخاتمة الفضلاء الكرام.. له شرح على مختصر ابن الحاجب..والديباج المذهب في أعيان المذهب فيه نيف وثلاثون وستمائة نفس، جمعه من نحو عشرين مؤلفا.. عاش وهو يسكن دارا بالكراء، توفي في ذي الحجة سنة 799هـ "شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف320/1.

(8)- الديباج المذهب لابن فرحون88/1.

أشار الذهبي[1] إلى سماع يحيى بن بكير من مالك يتحدث عن السنة التي ولاد فيها الإمام فقال:"مولدُ مالكٍ سنةَ ثلاثٍ وَتِسْعِينَ، سمعه منه يحيى بن بُكَيْر"[2].

أما وفاته فقد اتفق أصحاب التراجم على أن الإمام مالكا توفي عام سبع وتسعين ومائة من الهجرة النبوية، [3]قال القاضي عياض: "وأما وفاته فالصحيح ما عليه الجمهور من أصحابه ومن بعدهم من الحفاظ، وأهل علم الأثر ممن لا يعد كثرة أنه توفى عام تسع وسبعين ومائة"[4].

---

[1]- هو: "محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمازبن عبد الله التركماني الاصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي، أبو عبد الله، شمس الدين محدث، مؤرخ. ولد بدمشق في ربيع الأول سنة673هـ، وتوفي بدمشق في 3 ذي القعدة سنة 748هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير" معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 289/8.

[2]- تاريخ الإسلام للذهبي 4 / 719.

[3]- الانتقاء لابن عبد البر 87، وترتيب المدارك للقاضي عياض1/118-119، والديباج المذهب لابن فرحون1/ 135 .

[4]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/118-119.

## المطلب الثالث: أهــل بيته، ومشايخه، وتلامذته

### أولا: أهـــــل بيته

#### 1- والد الإمام مالك وأمه[1]

أما والده فهو أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، يقول ابن حبان[2] في ترجمته: "أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحي والد مالك بن أنس من جلة المدنيين ومتقنيهم"[3]، إلا أن والد الإمام مالك أنس بن مالك لم يشتهر بالرواية كأخويه: أبي سهيل، وأويس، وقد ذكر البخاري أنه: كان ممن يكتب المصاحف[4]، يقول الخولي: "ولا نعرف عن هذا الأب الكثير الذي يزيد معرفتنا بالابن..، ومن جملة ما وصلت إليه اليد من خير هذا الأب أنه ليس صاحب نشاط كنشاط أبيه المنوع المجالات، فهو ليس صاحب علم يذكر كأبيه"[5]، ولم يشتهر رواية الإمام عن أبيه إلا ما رواه يونس بن هارون[6]عن الإمام مالك عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب، عن النبي-صلى اللّه عليه وسلم-قال: "ثلاث يفرح لهن الجسد فيربو عليهن : الطيب، والثوب اللين، وشرب العسل"[7].

---

(1)- ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري2/30، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لابن حبان212، والمعجم في مشتبه أسامي المحدثين للهروي 26.

(2)- هو: "الحافظ الإمام العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان،.. التميمي البستي صاحب التصانيف، ...مات أبو حاتم بن حبان في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة"تذكرة الحفاظ للذهبي3/ 89، 90.

(3)- الثقات لابن حبان 1 / 212 .

(4)- التاريخ الكبير للبخاري 2/ 30.

(5)- مالك تجارب حياة لأمين الخولي50.

(6)- هو: "يونس بن هارون الشامي شيخ يروي عن مالك العجائب، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج به بحال من الأحوال"المجروحين لابن حبان 141/1

(7)- أخرجه ابن حبان في كتابه المجرومين عن يونس بن هارون عن مالك 140/3، وأخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن يونس عن مالك ثم قال: "غريب من حديث مالك، عن أبيه"340/6، وأخرجه الخطيب البغدادي عند ذكره لوالد الإمام فقال: "روى عنه حديث من وجه فيه نظر" ثم قال بعد روايته للحديث: "لا أعلم روي عن مالك إلا من هذا الوجه"المتفق والمفترق145/1،146، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية عن يونس بن هارون عن مالك194/2، وأخرجه العطار في كتابه

يقول السيوطي[1]: "وقد وقع لنا حديث من رواية مالك، عن أبيه، عن جده"[2]، ثم ذكر آراء الذين سبقوه في تضعيف هذه الرواية، ولم يصدر حكمه فيها، مما يدل على أن السيوطي يوافق من سبقوه في تضعيف هذا الحديث، وهذا الأمر لا يقدح في الإمام مالك أو والده، يقول أبو زهرة: "وإذا كان لم ينسب إلى مالك أنه روى عن أبيه غير الخبر الذي يشك في نسبته إليه، فالظاهر أن مالكا لم يرو عنه شيئا، وإذا كان لم يرو عنه؛ فلأنه لم يكن في مقامٍ من علم الحديث يسمح بأن يكون شيخا لابنه،..ومهما يكن حال أبيه من العلم ففي أعمامه وجده غناء، ويكفي مقامهم في العلم لتكون الأسرة من الأسر المشهورة بالعلم"[3].

أما أمه فهي العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية[4]، فيرجع نسب والدة الإمام مالك إلى قبيلة أزد، وهي من أشهر القبائل العرب القحطانية فإن: "الأزدي منسوب إلى الأزد، واسمه دراء، ويقال درا بن الغوث بن نبت بن مالك ..بن يعرب بن قحطان "[5].

---

الرواة عن مالك عن يونس عن مالك373، وأخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال وقال: "هذا لم يأت به عن مالك غير يونس"484/4.

فالحديث مداره على يونس بن هارون، وقد ضعفه علماء الجرح والتعديل، وقال ابن حبان بعد روايته لحديث يونس: "ما روى مالك عن أبيه ولا جده شيئا" المجروحين لابن حبان 141/1، وقال ابن القيسراني: "ويونس هذا لا تحل الرواية عنه"تذكرة الحفاظ لابن القيسراني173، وقال ابن حجر بعد روايته للحديث عند ترجمته ليونس بن هارون : "هذا لم يأت به عن مالك غير يونس، وضعفه الدارقطني في غرائب مالك بهذا الحديث وقال: لا يصح عن مالك، وقال الطبراني في الأوسط: إنه تفرد به" لسان الميزان577/8، مما سبق ذكره يظهر للباحث أن الحديث لا يثبت، ولا تصح رواية الإمام مالك عن أبيه.

[1]- هو: "عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بكر بن عثمان ، الشيخ العلامة، الإمام، المحقق، المدقق، المسند، الحافظ شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل ابن العلامة كمال الدين الأسيوطي، الخضيري، الشافعي صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة،...وكانت وفاته-رضي الله تعالى عنه-في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما"الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة 131/1،127.

[2]- تزيين الممالك بمناقب مالك للسيوطي20.

[3]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة30.

[4]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 119/1 .

[5]- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر الحازمي 10.

ولم يجد الباحث لأم الإمام مالك ترجمة وافية عند أهل الفن إلا ما ذكر من اسمها، وموقفها مع الإمام مالك في صغره عندما ألبسته القلنسوة، وأمرته بالذهاب إلى شيخه ربيعة[1]، وسيأتي ذكر تلكم الحادثة، يقول الخولي: "وهكذا لانعرف شيئا ذا غناء، عن أم الإمام مالك، وإن كنا نعرف من نثرات الأخبار بعض الشيء عن شخصيتها بما هي أم، وحدبها على ابنها، وأملها في مستقبله العلمي يوم تلبسه، وترسله ليتعلم العلم والأخلاق"[2].

2- جد الإمام مالك[3]

أما جده فهو أحد كبار التابعين الثقات، روى عن كبار الصحابة، وأخرج حديثه الإمام مالك في الموطإ[4]، ومسلم في صحيحه[5]، قال البخاري في ترجمته: "مالك بن أبي عامر الأصبحي حليف عثمان بن عُبَيد اللّه التيمي القرشي المدني جد مالك بن أنس سمعَ عمر وعثمان، كنيته أبو أنس"[6]، ووثقه ابن سعد فقال في ترجمته: "روى مالك بن أبي عامر عن عمر وعثمان وطلحة بن عبيد اللّه وأبي هريرة، وكان ثقة، وله أحاديث صالحة"[7]، وترجم له ابن حبان فقال: "مالك بن أبى عامر الأصبحي أبوأنس، من أصحاب عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وهو جد

---

(1)- هو: "أبو عثمان، ربيعة بن عبد الرحمن فروخ مولى المنكدر المدني، المعروف بربيعة الرأي، مفتي المدينة، الإمام الجليل، الثقة، أدرك جماعة من الصحابة، وأخذ عنهم منهم: أنس رضي الله عنه، وعنه أئمة منهم مالك، قال مالك: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي، توفي سنة 136هـ"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف70/1.

(2)- مالك تجارب حياة لأمين الخولي 51.

(3)- ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد46/5، والتاريخ الكبير للبخاري7/ 305، والكنى والأسماء لمسلم 97/1، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لابن حبان128، وتهذيب الكمال للمزي27/ 148، والكاشف للذهبي 235/2، وتقريب التهذيب لابن حجر517.

(4)- حديثه في الموطإ كتاب الجمعة، باب ما جاء في الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب.

(5)- كتاب المساقاة، باب الربا.

(6)- التاريخ الكبير للبخاري 305/7.

(7)- الطبقات الكبرى لابن سعد 5/ 47.

مالك بن أنس من متقني أهل المدينة"[1]، وقال فيه ابن حجر: "ثقة من الثانية، مات عام أربع وسبعين على الصحيح"[2]، وممن روى عنه أبناؤه: أبوسهيل نافع، والربيع، وأنس.

### 3- أبناء الإمام مالك

للإمام مالك ثلاثة أبناء هم: يحيى، ومحمد ، وفاطمة، يقول القاضي عياض: "وكان لمالك ابنان يحيى، ومحمد ، وابنة اسمها فاطمة، زوج ابن أخته وابن عمه إسماعيل بن أبي أويس[3]"[4].

### أ-يحيى بن مالك بن أنس الأصبحي[5]:

وهو أبرز أبناء الإمام، فقد كان يحفظ الموطأ كاملاً، ويهتم بطلب العلم، وكان يقلد أباه في الاهتمام بالحديث وحفظه، نقل صاحب ترتيب المدارك أن: "يحيي بن مالك يروي عن أبيه نسخة، وذكر أنه روى الموطأ عنه باليمن[6]، وذكره العقيلي[7] في كتاب الضعفاء فقال: "حدث عن أبيه بمناكير"[8]، وأقره الذهبي ونقل كلامه في كتابه المغني في الضعفاء[9]، إلا أن ابن حبان ذكره ضمن الثقات فقال في ترجمته: "يحيى بن مالك بن أنس بن أبي عاصم الأصبحي سكن اليمن،

---

(1)- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لابن حبان 128.

(2)- تقريب التهذيب لابن حجر517.

(3) - هو: "إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله،ابن أبي أويس، المدني، صدوق، أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومائتين خ م د ت ق"تقريب التهذيب لابن حجر 108.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض115/1.

(5)- ترجمته في الثقات لابن حبان257/9، والضعفاء للعقيلي 425/4، والمغني في الضعفاء للذهبي 742/2.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 115/1.

(7)- هو: "محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، الحجازي، أبو جعفر، محدث حافظ، توفي بمكة في ربيع الاول سنة 322هـ، من آثاره: الضعفاء ومن نسب الى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم، والجرح والتعديل"معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة11/ 98.

(8)- 425/4.

(9)- 742/2.

وحدثهم بالموطأ، مُستقيم الحديث راوي"[1]، وذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان، ونقل ما قاله السابقون دون زيادة منه على أقوالهم[2].

ب - محمد بن مالك بن أنس

أما ابنه محمد فإن الباحث لم يجد له ترجمة في كتب التراجم والطبقات كأخيه يحيى، إلا ما ذكره القاضي عياض من خبره أنه: "قدم مصر وكُتب عنه، وحدَث عنه الحارثُ بن مسكين[3]، وزيد بن بشر[4]"[5].

ج-فاطمة بنت مالك

لم يجد الباحث لها ترجمة في كتب التراجم إلا ما ذكره القاضي عياض من خبرها أنها كانت "تحفظ علمه،-يعني الموطأ- ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نقرت الباب، فيفطن مالك فيرد عليه"[6].

---

[1]- الثقات لابن حبان9/257.

[2]- لسان الميزان لابن حجر 6/274.

[3]- هو: "الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى بني أمية، أبو عمرو المصري قاضيها، ثقة، فقيه من العاشرة، مات سنة خمسين ومائتين وله ست وتسعون سنة د س"تهذيب التقريب لابن حجر148.

[4]- هو: "زيد بن بشر بن زيد بن عبد الرحمن الأزدي...، كان فقيها ثقة مأمونا أديبا مصونا، سمع زيد بن بشر من ابن القاسم، ومن ابن وهب وأشهب،...وتوفي بتونس سنة اثنتين وأربعين ومائتين فيما قاله أبو العرب، وقال الكندي سنة أربعين"ترتيب المدارك للقاضي عياض4/98، 104.

[5]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/115.

[6]- المصدر نفسه1/115،116.

## 4- أعمام الإمام مالك

ذكر القاضي عياض أن للإمام مالك ثلاثة أعمام هم: الربيع، وأبوسهيل نافع، وأويس[1]، وجاء في التاريخ الكبير أن" أكبر ولد مالك: أنس ثم أويس ثم نافع ثم الربيع"[2].

### أ -الربيع بن مالك بن أبي عامر[3]:

وهو أصغر أعمام الإمام مالك، وقد ذكره ابن حبان في كتابه الثقات فقال: "عم مالك بن أنس، كنيته أبو مالك، حليف بني تيم، يروي عن المدنيين، روى عنه أهلها، وكان قليل الحديث، مات عام ستين ومائة، وكان أكبر ولد مالك بن أبي عامر: أنسا والد مالك بن أنس، ثم أويسا، جد إسماعيل بن أبي أويس، ثم نافعا، وهو أبو سهيل بن مالك، ثم الربيع"[4]، ولم يعرف الربيع بكثرة الرواية والعلم جاء في كتاب الجرح والتعديل: "لم يرو عنه العلم"[5].

### ب - أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي[6]:

عرف بروايته في كتب الحديث، وقد وثقه أبو حاتم الرازي[7]فقال عنه: "ثقة"[8].

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 118.

(2)- 273/3.

(3)- ترجمته في الكنى والأسماء للإمام مسلم754/2، و الجرح والتعديل لابن أبي حاتم468/3،469، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار/211، والثقات لابن حبان 296/6،297.

(4)- 296/6،297.

(5)- 469/3.

(6)- ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري86/8، والثقات لابن حبان471/5، والهداية والإرشاد للكلاباذي747/2، والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي769/2، وتهذيب الكمال للمزي290/29.

(7)- هو: "محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي أحد الحفاظ من الحادية عشرة مات سنة سبع وسبعين ومائتين [خ] د س فق" تقريب التهذيب لابن حجر467.

(8)- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم453/8.

وذكره ابن حبان في الثقات[1]، وقال الذهبي في ترجمته: "الإمام الفقيه أبوسهيل الأصبحي، المدني، حدث عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك..."[2]، ووصفه أيضا بأنه: "ثقة مقرئ"[3]، وقال عنه ابن حجر: "ثقة من الرابعة مات بعد الأربعين"[4].

ج - أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي[5]:

قال ابن حبان في ترجمته: "أويس بن مَالك بن أبي عَامر الأصبحي حَلِيف بني تيم من قُرَيش يروي عَن أبيه، وهو عَم مَالك بن أنس، وجد إسمَاعِيل بن أبي أويس"[6]، وقد ذكر البخاري أن أويسا: "روى عن أبيه مالك عن عثمان في الخطبة"[7]، وقال الذهبي في ترجمته: "الإمام الحافظ محدث المدينة... وحديثه في الدواوين الستة سوى كتاب النسائي" [8]، وقال عنه ابن حجر: "صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه"[9]، وقد لاحظ الباحث عند اطلاعه على كتب التراجم، أن أويسا ليس له كثرة رواية في كتب الحديث، وقلما تذكر ترجمته في كتب الطبقات.

---

(1)- الثقات لابن حبان 471/5.

(2)- سير أعلام النبلاء للذهبي 283/5.

(3)- الكاشف للذهبي 315/2.

(4)- تقريب التهذيب لابن حجر558.

(5)- ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري55/2، والثقات لابن حبان84/6.

(6)- الثقات لابن حبان 84/6.

(7)- التاريخ الكبير للبخاري56/2.

(8) - تذكرة الحفاظ 1 /300.

(9)- تقريب التهذيب لابن حجر108.

## ثانيا: شيوخ الإمام مالك وتلاميذه

### 1- شيوخ الإمام مالك.

بلغ عدد الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الإمام مالك المئات، وقد ألف ابن خلفون الأندلسي[1] كتابا سماه: "أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس"[2]، حصر فيه مشايخ الإمام حيث تجاوز عددهم في هذا الكتاب المائة ونيف من أشهرهم: ربيعة بن عبدالرحمن، وأبوبكر عبدالله بن هرمز[3]، وابن شهاب الزهري، ونافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب[4]، وجعفر بن محمد الصادق[5].

وقد تتلمذ الإمام على عدد من علماء آل بيته التيميين، كان أبرزهم محمد بن المنكدر[6]، يقول عبد الحليم الجندي: "وأما ذروة معلميه من بني تيم أنفسهم فمحمد بن المنكدر زعيم الفقهاء علما ونبلا،

---

(1)- هو: "أبو بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الأزدي الأندلسي: الإمام الفاضل، العالم البصير بالحديث، الحافظ لأسماء رجاله المتفنن،..له تآليف مفيدة منها: المنتقى في رجال الحديث في خمسة أسفار والمفهم في شرح البخاري ومسلم،..مولده سنة 555 هـ وتوفي سنة636 هـ "تذكرة الحفاظ للذهبي 130/4.

(2)- تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر : مكتبة الثقافة الإسلامية، المركز الإسلامي للطباعة، الجيزة.

(3)- هو: "عبد الله بن يزيد الأصم، فقيه المدينة، أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم، أحد الأعلام، وقيل: بل اسمه: يزيد ابن عبد الله بن هرمز عداده في التابعين، وقلما روى، كان يتعبد ويتزهد، وجالسه مالك كثيرا، وأخذ عنه،...مات سنة ثمان وأربعين ومائة"سير أعلام النبلاء للذهبي 380/6.

(4)- هو: "نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الله المدني،...ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وقال: كان ثقة كثير الحديث، وقال البخاري: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر،...مات سنة سبع عشرة ومائة، ويقال: سنة عشرين ومائة"تهذيب الكمال للمزي 29/298،305.

(5)- هو: "جعفربن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله المدني الصادق،...أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولذلك كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين، روى عن أبيه، والزهري، ونافع، وابن المنكدر، وعنه الثوري، وابن عيينة، وشعبة، ويحيى القطان، ومالك، وابنه موسى الكاظم، وآخرون ولد سنة ثمانين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة"طبقات الحفاظ للسيوطي79.

(6)- هو: "محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي، ابن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الله القرشي، التيمي، المدني، ولد: سنة بضع وثلاثين،... مات ابن المنكدر سنة ثلاثين ومائة، وقال الفسوي: سنة إحدى وثلاثين"سير أعلام النبلاء للذهبي 5/360.

ومالك يروي عنه في الموطأ، وهو حبة من حبات ذلك العقد النظيم من أهل العلم في بني تيم"[1].

وقد انتهى علم الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب إلى نافع مولى ابن عمر ، وسالم بن عبدالله بن عمر[2] ، وهما من المكثرين عن ابن عمر، ومن شيوخ الإمام مالك، يقول الخولي: "لزم مالك نافعا يستخرج ما عنده، يترصد دخوله، وخروجه ليسأله، وأحبه نافع فكان يقعده معه ويحدثه، ويتحايل مالك لينفرد بنافع، فيقوده إذ كف بصره إلى منزله بالبقيع"[3].

---

[1]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالحليم الجندي54.

[2]- هو: "سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر، أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتا عابدا فاضلا، كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت، من كبار الثالثة، مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح ع" تقريب التهذيب لابن حجر226.

[3]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالحليم الجندي55.

## 2- تلاميذ الإمام مالك:

تتلمذ على الإمام مالك كثير من طلاب العلم الذين أصبحوا فيما بعد من كبار علماء الأمصار، وبرز منهم مجتهدون في المذهب المالكي، وغيره من المذاهب الإسلامية المتفق عليها، حيث بلغ عددهم الآلاف، يقول العلائي[1]: "روى عن الإمام مالك -رحمه اللّه- خلق كثير، وجمع غفير، أفرد لهم الحافظ أبو بكر الخطيب[2] مصنفا[3]، فبلغ بهم ألف نفس، ورأيت بعض الأئمة من أصحابنا اعتنى بذلك، وزاد على من ذكر الخطيب خلقا كثيرا"[4].

وقد أشار العلائي إلى السبب في كثرة التلاميذ الآخذين عن الإمام فقال: "وسبب كثرة الرواية عنه أنه انتصب للرواية، ونشر العلم قديما، وعمر كثيرا، وقصده الناس من سائر الأمصار، وكان بالمدينة النبوية المشرفة -على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- وغالب من يمر بها حاجا يكتب عنه، فانتشرت الرواية عنه في البلدان -رضي اللّه عنه-"[5].

ويقول عبد الحليم الجندي: "والتاريخ لا يعرف إماما كهيئة مالك، وسعت حياته ثلاثة أجيال كبيرة، وثلاث عشرة خليفة، يجيئون

---

(1)- هو: "خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي، الدمشقي، الشافعي ،صلاح الدين، أبو سعيد ،، محدث، فقيه، أصولي، ولد بدمشق في أحد الربيعين سنة694هـ، وسمع بالشام ومصر والحجاز، وأفتى وجمع وصنف، وتوفي بالقدس في المحرم سنة761هـ، من تصانيفه: مختصرجامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الاثيرالجزري، واشتهربتهذيب الأصول" معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة4/126.

(2)- هو: "الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات؛ كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين،.. ولد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، يوم الخميس لست بقين من الشهر، وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد، رحمه الله-تعالى-"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان1/92،93.

(3)- لم أعثر عليه.

(4)- بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي 60.

(5)- المصدر نفسه 65.

ويذهبون، وهو باق بالمدينة سادن أمين للسنة، كأنه معلم من معالم الطبيعة، كالجبل أو كالبحر"[1]، وأشهر تلامذة الإمام هـــم:

عبد الرحمن بن القاسم[2]، وعبد الله بن وهب بن مسلم[3]، وأشهب بن عبد العزيز[4]، وأسد بن الفرات[5]، وعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون[6]، وعلي بن زياد[7]، وعبد الله بن مسلمة القعنبي[8]، ويحيى بن يحيى الليثي[9].

---

[1]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالحليم الجندي 33.

[2]- هو: "عبد الرحمن بن القاسم العتقي، الإمام المشهور، يكنى أبا عبد الله، وهو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادةعبد الرحمن بن القاسم العتقي، كان ابن القاسم أعلمهم بعلم مالك، وآمنهم عليه،.. سئل مالك عنه وعن ابن وهب فقال: ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه، وقال له: اتق الله! وعليك بنشر هذا العلم، ...توفي ابن القاسم بمصر-في صفر سنة إحدى وتسعين ومائة وهو بن ثلاث وستين سنة ومولده سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل سنة ثمان وعشرين ومائة-رحمه الله تعالى-"الديباج المذهب لابن فرحون1/465،468.

[3]- هو: "أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي: مولاهم، الإمام، الجامع بين الفقه والحديث، أثبت الناس في الإمام مالك، الحافظ، الحجة، روى عن أربعمائة عالم، منهم الليث، وابن أبي ذئب،والسفيانان، وابن جريج، وابن دينار، وابن أبي حازم، ومالك وبه تفقه، صحبه عشرين سنة، له تآليف حسنة عظيمة المنفعة، منها سماعه من مالك، وموطأه الكبير وموطأه الصغير، وجامعه الكبير، والمجالسات وغير ذلك، روى عنه سحنون، وابن عبد الحكم، وأبو مصعب الزهري ،...خرج عنه البخاري وغيره، مولده في ذي القعدة سنة 125م ومات بمصر في شعبان سنة 197هـ وله فضائل جمة"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/89.

[4]- هو: "أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري المصري، الشيخ الفقيه، المثبت العالم، الجامع بين الورع والصدق، انتهت إليه رئاسة مصر بعد موت ابن القاسم، روى عن الليث والفضيل بن عياض، ومالك وبه تفقه، ..خرج عنه أصحاب السنن، وعدد كتب سماعه عشرون، مولده سنة 140هـ، وتوفي بمصر سنة 204 هـ بعد موت الشافعي بثمانية عشر يوما"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/79.

[5]- هو: "أسد بن الفرات بن سنان، مولى بني سليم بن قيس، كنيته أبو عبد الله،...وقد كان علم القرآن ببعض القرى، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس، فلزمه وتعلم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلى المشرق، فجمع من مالك بن أنس موطأه، وغيره،...كانت وفاة أسد في حصار سرقوسة من غزوة صقلية، وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: أربع عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وقبره ومسجده بصقلية، مولده سنة خمس وأربعين ومائة بحران، وقيل سنة ثلاث، وقيل سنة ثنتين وأربعين، وكان قدومه من المشرق سنة إحدى وثمانين ومائة-رحمه الله تعالى-"الديباج المذهب لابن فرحون1/307.

[6]- هو: "أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون القرشي: الفقيه، البحر الذي لا تدركه الدلاء، مفتي المدينة، من بيت علم بها وحديث، تفقه بأبيه، ومالك، وغيرهما، وبه تفقه أئمة كابن حبيب، وسحنون، وابن المعذل، توفي على الأشهر سنة 212هـ"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/85.

[7]- هو: "أبو الحسن علي بن زياد التونسي: الثقة الحافظ الأمين، المرجوع إليه في الفتوى، الجامع بين العلم والورع، لم يكن في عصره بإفريقية مثله، سمع جماعة منهم: الليث والثوري ومالك وعنه روى الموطأ وكتبا وهي: بيوع ونكاح وطلاق، وهو أول من أدخل الموطأ المغرب، ومنه سمع البهلول بن راشد وأسد بن الفرات وسحنون وجماعة، مات سنة 183هـ، وقبره بتونس قرب سوق الترك متبرك به والدعاء عنده مستجاب، له فضائل جمة"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/91.

[8]-هو: "عبدالله بن مسلمة بن قعنب التميمي الحارثي القعنبي، أبو عبد الرحمن، أصله مدني، وسكن البصرة فهو في عداد البصريين، روى عن مالك وابن أبي ذئب،... وهو معدود في الفقهاء من أصحاب مالك، وروى عن مالك كثيرا، توفي سنة عشرين، أو إحدى وعشرين ومائتين بمكة يوم السبت لست خلون من المحرم منها، وقيل يوم: عاشوراء "الديباج المذهب لابن فرحون1/413.

[9]- هو: "أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي، الإمام الحجة الثبت، رئيس علماء الأندلس، وفقيهها، وكبيرها، سمع الموطأ أولا من شبطون، ثم سمعها من مالك غير الاعتكاف، وروايته أشهر الروايات، وسمع ابن وهب، وابن القاسم، وابن عيينة،

## المبحث الثاني: المقومات الدعوية في شخصية الإمام

كان للإمام مالك -رحمه الله تعالى- أثر عظيم على المسلمين في شتى البلدان، وانتشرت أقواله وفتاويه في أصقاع كثيرة من الأمصار، فقد كان الإمام عالما من علماء الأمة الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله -جل وعلا-، وتبصير الناس بدينهم، ولم يكن هذا العلم الغزير صفة مميزة له في عصره إلا لما يتصف به من الصفات الجليلة التي كانت سببًا بعد توفيق الله له أن يكون أحد أعلام المسلمين على مر العصور.

ولهذه الصفات التي تحلى الإمام أسباب أسهمت في بناء شخصية الإمام وتكوينه، منها صفات و أسباب سماها الباحث أسبابا غير مكتسبة لم يكن للإمام له فيها اختيار، وإنما ظروف أسهمت في بناء شخصية الإمام، وأسباب اكتسبها الإمام باجتهاده وحرصه، جعلت منه أحد الأئمة المعروفين، وسيتناول الباحث الكلام في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

---

ونافعاالقاري، والليث بن سعد، وغيرهم، وعنه أبناؤه: عبيد الله، وإسحاق، ويحيى، وابن حبيب، وتفقه به من لا يحصى كثرة منهم: العتبي، وابن مزين، وابن وضاح، وبقي بن مخلد، وآخر من حدث عنه ابنه عبيد الله، وبه وبعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك بالأندلس، توفي سنة 234هـ عن اثنتين وثمانين سنة" شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/95.

## المطلب الأول: أسباب غير مكتسبة ساهمت في بناء شخصية الإمام مالك

يرى الباحث أن هناك أمورا تهيأت للإمام فأسهمت في بناء شخصية الإمام وتكوينه، وكانت سببا في بناء شخصيته العلمية الرصينة، فكان أحد الأئمة الكبار، وفقيها من فقهاء المذاهب الأربعة المشهورة، وترتكز هذه الأمور على ثلاثة ركائز أولها: أسرته، وثانيها: إقامته في المدينة المنورة، وثالثها: توجيهه إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره.

### أولاً : أسرته

نشأ الإمام مالك في أسرة صالحة اشتهر عدد منهم بطلب العلم، والحرص عليه، فاشتهر منهم العلماء والفقهاء، ومن المعلوم أن الأسرة إذا زرعت في أبنائهاحب العلم والمطالعة، فإنهم يكبرون على ذلك، ويتربون عليه، وعلى هذه التربية الصالحة نشأ الإمام مالك، يقول أبو زهرة: "هذه أسرة مالك، وهي توعز إلى الناشئ فيها بأن يتجه إلى طلب الحديث والقرآن إن كان عنده استعداد لهما، فإن الناشئ تتغذى مواهبه ومنازعه من منزع بيته وما يتجه إليه"[1].

وكان بيت الإمام مالك بيت علم وصلاح، وكذلك البيئة التي تربي في جنباتها، بيئة مدينة رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-، يقول مصطفى الشكعة: "وإذا كان الإمام مالك قد أغرق نفسه في بحر العلم منذ نعومة أظفاره، فإن ذلك ليس بالشيء الغريب عن الأسرة، فقد كان

[1]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة30.

أبوه وأعمامه وجده من أصحاب العلم وأرباب الفضل، لهم مع العلم صلات ووشائج، ومع الفضل روابط وأسباب"[1].

وكان أول من اشتهر من هذه الأسرة، جد والد الإمام مالك، حيث ذكر القاضي عياض أنه كان من الصحابة الكرام، يقول القاضي: "ذكر القاضي بكر بن علاء القشيري[2]: أن أبا عامر بن عمر وجد أبي مالك- رحمه الله-من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: وشهد المغازي كلها مع النبي-صلى الله عليه وسلم-خلا بدرا وابنه مالك جد مالك، كنيته: أبو أنس من كبار التابعين...، وكان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحف، وكان عمر بن عبد العزيز[3] يستشيره"[4].

وبعد جد والده اشتهر جد الإمام مالك بالعلم، وهو مالك بن أبي عامر الأصبحي، حيث كان أحد كبار التابعين الثقات كما سبق ذكره، فقد روى عن كبار الصحابة- رضي الله عنهم- ، وحرص على تلقي الأحاديث وروايتها، ومن بعد جده أعمام الإمام حيث اشتهر منهم بالرواية عمه أبوسهيل نافع كما مر معنا، وقد روى عنه الإمام مالك في الموطإ يقول القاضي عياض متحدثا عن أعمام الإمام: "وقد روى أربعتهم

---

(1)- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة337.

(2)- هو: "أبو الفضل بكر بن العلاء محمد بن زياد القشيري البصري، ثم المصري، الإمام الفقيه، النظار المحدث الراوية، مذكور في أصحاب القاضي إسماعيل،...ألف كتباجليلة منها: الأحكام المختصرة من كتاب القاضي إسماعيل بالزيادة عليه، وكتاب الرد على المزني، وكتاب أصول الفقه، وكتاب القياس، وكتاب في مسائل الخلاف، وكتاب في الرد على الشافعي في وجوب الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-في الصلاة، وكتاب الرد على القدرية، وكتاب فيمن غلط في التفسير بالحديث، ورسالة الرضاع، ورسالة إلى من جهل محل مالك في العلم، وكتاب مأخذ الأصول، وكتاب تنزيه الأنبياء -عليهم السلام- ، وكتاب ما في القرآن من دليل النبوة، وكتاب الأشربة وغير ذلك، توفي بمصر سنة 344هـ وقد جاوز الثمانين"شجرة النور الزكيةلمحمد بن محمد مخلوف119/1.

(3)- هو: "عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد ، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعد مع الخلفاء الراشدين، من الرابعة مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف ع" تقريب التهذيب لابن حجر415.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1 / 112.

عن أبيهم مالك بن أبي عامر، وقد خرج أهل الصحيح البخاري ومسلم، ومن بعدهم عن مالك بن أبي عامر، وأبي سهيل ابنه كثيرا"[1] .

ولا شك أن للوالدين الدورَ الأهم في تهيئة الأبناء لتحمل أعباء تلقي العلم وزرع الصبر عليه، وتحبيبهم في العلم منذ نعومة أظفارهم، وتنبيههم إن حادوا عن طريق العلم، وقد كان لتوجيه والد الإمام في صغره أحد الأسباب الذي جعلت الإمام مالكا حريصا على طلب العلم والسعي إليه، فقد روي أن أنسا والد الإمام ألقى على الإمام وأخيه مسألة ليختبر مدى علمهما وحرصهم على طلب العلم، فكانت حافزا للإمام في سلوك طريق العلم يقول الإمام مالك: "كان لي أخ في سن ابن شهاب، فألقى أبي يوما علينا مسألة، فأصاب أخي وأخطأت، فقال لي أبي: ألهتك الحمام"[2]، فكان لهذه الكلمات الأثر العظيم على الإمام مالك؛ لأنه وجد الناصح والمرشد إلى الطريق القويم.

وكذلك كان أثر الأم الصالحة ظاهرا جليا في نصح ولدها وتوجيهه لطلب العلم، فقد دعته إلى قصد العلماء ومجالستهم، وطلب العلم على أيديهم، يقول الإمام مالك: "قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: "اذهب فاكتب الآن"، وقال- رحمه الله-: "كانت أمي تعممني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة؛ فتعلم من أدبه قبل علمه"[3]، فقد كان لأمه الدور العظيم في توجيه الإمام نحو ملازمة أهل العلم والأخذ من معينهم، يقول أبوزهرة: "ويظهر أنه لهذا التحريض

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 115.

[2]- المصدر نفسه 1 /115.

[3]- المصدر نفسه 1 /130 .

من أمه جلس إلى ربيعة الرأي أول مرة، فأخذ عنه فقه الرأي، وهو حدث صغير على قدر طاقته"[1].

وهذا هو الواجب على كل أم أن توجه ابنها منذ نعومة أظفاره لسلوك مسالك العلم والخيرات، يقول الخولي: "وكان لأمه في هذا البدء ما يكون للأمهات دائما، في بدء هذا الدور الذي يجاوز فيه الابن دور الطفولة"[2]، ولا شك أن طلب العلم للإمام منذ نعومة أظفاره كان له الأثر العظيم في ملازمته للعلماء ومجالسته لهم، وهذا لا يوفق إليه إلا من وفقه الله-تعالى-أولا، ثم تحريض أهل بيته لسلوك طريق العلم والمواظبة عليه، وهو ما وجده الإمام من أهل بيته.

## ثانيا: إقامته في المدينة المنورة

لما هاجر النبي-صلى الله عليه وسلم-من أحب البقاع إلى قلبه مكة كان مقصد هجرته-صلى الله عليه وسلم-المدينة المنورة، فيها أنشأ مسجد قباء أول منارة في بناء المجتمع المسلم، وكان الوحي ينزل بالأحكام ويصحح ما في المجتمع من مخالفات، فمكث-صلى الله عليه وسلم-بالمدينة إلى أن توفي فيها-صلى الله عليه وسلم-و بعده كان الصحابة ينقلون ما تحملوه من الأحاديث عنه-صلى الله عليه وسلم-، يقول الزواوي[3]-رحمه الله-: "لا خفاء ولا مرية عند أحد من العلماء ولا من ينسب إلى الفضلاء، أن طيبة مدينة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

[1]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 32.

[2]- مالك تجارب حياة لأمين الخولي 79.

[3]- هو: "أبو الروح عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي: الفقيه الإمام، المتقن في كثير من العلوم، شرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلدا سماه إكمال الإكمال، وشرح مختصر ابن الحاجب ... مولده سنة664 هـ وتوفي سنة 743 هـ" شجرة النور لمحمد بن محمد مخلوف1/314.

مهبط الوحي ودار الهجرة ومعدن الرسالة، وفيها ظهر الحق وانتصر، وقام الدين واشتهر، ... وفيها أتربة أكثر أصحابه والأخيار من عشيرته، وأشياعه والشهداء من المهاجرين الأولين وأنصار الدين والإيمان من قبلهم، وفيها كان الحق ناصعا، والدين خالصا على أنقابها"[1]، وبالمدينة استقر الإسلام وثبتت قواعده، ونشأ فيها أجيال من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فانطلقوا في شتى بقاع الأرض يبلغون رسالات الله، ولا يخشون في الله لومة لائم، فقد: "تكونت الدولة الإسلامية-والتشريع عمادها-بالمدينة، فنزل الوحي يتغيا غايات خاصة بالأمة والدولة وقواعد الحرب والسلم والقضاء والإفتاء والعبادات والمعاملات، دون أن يقتصر على أمور الاعتقاد والأخلاق التي عرفها المسلمون بمكة، وكمثل الوحي أخذت السنة في المدينة تظهر في المعاملات لا في مجرد العقائد"[2].

ولا يخفى أن علم أهل المدينة له مزية خاصة؛ لأن أكثر أحكام القرآن نزلت فيها: "وبها الخيرة من عباد الله، وبها ثبت الدين واستقر، ومنها تفرق وانتشر ..، وفيها كانت الخلافة بعد النبوة وقلوب المسلمين متفقة، وكلمتهم متحدة، وبها كانت السبعة الفقهاء من التابعين المشهورين بالفضل والعلم المخصوصين بهذا الاسم"[3].

وكانت حياة النبي-صلى الله عليه وسلم-فيها خصبة مباركة طيبة، سمع الصحابة فيها أقواله ورأوا أفعاله، وسألوه عن أشياء كثيرة، واقتدوا به-صلى الله عليه وسلم-، يقول عبد الحليم الجندي: "نشأ مالك بالمدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام، ولم يبرحها إلى بلد آخر، ومنها نشأت نظرياته في الفقه

---

[1]- مناقب سيدنا الإمام مالك لعيسى الزواوي 61.

[2]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالحليم الجندي 12.

[3]- المرجع نفسه62.

والاستدلال، وإليه انتهت طرائقها، فأصبح في الطليعة من سدنة السنة، وقد سنت كثرتها بالمدينة، وبها قضى عظماء الصحابة معظم حياتهم، فشاركوا في الحفاظ عليها، واستمرار الأمر الأول في الأجيال اللاحقة، ومن ثمة كانت المدينة، والسنة كل شيء في الرجل ومذهبه"[1].

وبعد وفاته-صلى الله عليه وسلم-كانت المدينة في عصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم قبلة يقصدها العلماء وطلاب العلم؛ لاجتماع الصحابة وكبار التابعين فيها: "وبعد موته-صلى الله عليه وسلم-كان فيها الكثير من الصحابة، ومنهم الخلفاء الراشدون وأكابر فقهائهم، فقلما احتاج الناس مسألة، أو حكما إلا وجدوا ذلك عندهم استخراجا من كتاب الله، أو استنباطا من سنة رسوله، وهكذا تلقى عنهم التابعون ومن بعدهم"[2].

وفي هذه الأجواء العلمية التي تعيشها المدينة النبوية ينشأ فيها الإمام مالك، ويتربى بين علمائها ينهل من كل واحد منهم أدبه وعلمه، يقول الزواوي: "وفيها كانت السنة متواترة، يرويها جيل عن جيل، وتنقلها جماعة عن جماعة، و خلف عن سلف، ولم يكن ذلك في غيرها من البلدان، و لم يزل بها الدين قائما والسنة معلومة، والعلماء متوافرون إلى أن أنبت الله فيهم في أقرب عصر، وأقرب مضواء بالمدينة قبل تمام المائة من الهجرة النبوية من أنفسِهم، وأنفسهُم مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، نشأ بها غلاما عاقلا حافظا ثبتا ضابطا متقنا برا تقيا، فتعلم منهم وجمع علومهم، وحفظ آراءهم ونقل آثارهم، وعرف مذاهبهم وأحكم قواعدهم"[3]، ويقول أبو زهرة عن حياة الإمام: "ولقد

---

[1]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الحليم الجندي 9.

[2]- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر40.

[3]- مناقب سيدنا الإمام مالك لعيسى الزواوي62.

نشأ مالك وللمدينة تلك المكانة، لم تزايلها حتى لقد كان عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى أهل المدينة يسألهم عما مضى، ويعمل بما عندهم"[1].

وفي المدينة المنورة أمضى الإمام مالك -رضي الله عنه- عمره فيها يتلقى شتى العلوم من علمائها: "في هذا المكان أمضى الطالب مالك سني تعمله ثم تعليمه أيضا، وهو واضح الشعور بميزتها وامتيازها يجمع العلم من رجال الروضة ، ويحدث على مسمع ومرأى من صاحب الحديث، ويتجسم له المثل، ويلمس الشاهد، ويتمثل الواقع تمثلا"[2].

وكان العلماء يقصدون المدينة فيلتقي بهم الإمام مالك ينهل من علمهم، ويتعرف على عادات الناس من شتى بلاد الإسلام، ويقصدونه لينالوا شرف الأخذ عنه: "وهو في هذا المهاجر الكريم، يأتي إليه الناس أفواجا أفواجا في موسم الحج زائرين قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، متنسمين نسيم الوحي في منزل الوحي، وفي مهبط الشرع، ... يرى مالك أعراف الناس وأحوالهم، واختلاف مشاربهم، وتباين أجناسهم، وتضارب منازعهم، ويجد في ذلك مادة للدراسة الفقهية تجيء إليه تسعى من غير عناء، ومن غير أن يركب متن السفر والانتقال "[3].

وقد وفق الله -سبحانه- الإمام مالكا بهذه الميزة العظيمة وهي إقامته في المدينة المنورة ومكثه فيها: "فما أوتي أحد في عصر مالك ما أوتي مالك من المكانة والسلطان والشهرة والعلم، فقد تلقف أكثر ما في المدينة من الحديث والسنة والفقه، ولئن لم يغادر المدينة إلى بلد ما،

---

[1]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة31.

[2]-مالك تجارب حياة لأمين الخولي 82،83.

[3]-مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 18.

لقد كانت المدينة يستغنى بعلمها عن غيرها، ولا يستغنى غيرها من البلاد عنها، فقد كانت مثابة للناس، يقصد لها العلماء والمحدثون من كل صوب ليظفروا بما عند أهل المدينة من فضل وعلم"[1].

وفي هذه البيئة العلمية أخذ الإمام مالك العلم من علماء الأمصار الذين يقصدون المدينة وجمع منهم الأحاديث النبوية وآثار التابعين: "ومن توفيق اللّه الكبير أن أقام في المدينة، وأن جعل درسه فيها بجوار قبر الرسول-صلى اللّه عليه وسلم-، فقد كان إقبال الوفود من المسلمين كل حين لزيارة الرسول-صلى اللّه عليه وسلم-يهيئ له الفرص المتوالية لبث ما لديه من علم على نطاق واسع، وهو في الوقت نفسه يدرس أحوال الناس، ويطلع على ما يقع لهم، ويسمع منهم أحداث حياتهم مما يحتاج إلى استنباط أحكامه من الدين"[2].

وقد كانت نشأة الإمام في المدينة لها الأثر على حياته كلها، في فقهه وسلوكه وفكره، حتى صار عمل أهل المدينة أصلا من أصول مذهبه وفقهه فقد: "عاش في المدينة أشطر عمره كلها، ولم يغادرها إلا حاجا، ولم يعرف أنه انتجع غيرها من البلدان، أو قصد إلى المدائن دارسا متتبعا، ولم يعرف بحبه للسفر والارتحال ...بل كان مكتفيا بجوار الرسول-صلوات اللّه وسلامه عليه-"[3].

وكانت من ثمرات إقامة الإمام مالك في المدينة أنه تميز بخاصية التأسي بأهل المدينة فقد: "اختص الإمام مالك بالمبالغة بالتأسي بأهل المدينة واقتفاء آثارهم، وتتبع مروياتهم، والتقيد برأيهم ونظرهم

---

[1]- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر 59.

[2]- الأئمة الأربعة لأحمد الشرباصي77.

[3]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة17-18.

واجتهادهم لم يخرج عنه بحال"[1].

ويعد فقه الإمام مالك وآراؤه المنقولة عنه امتداد لفقه علماء أهل المدينة، وقد أكد الإمام مالك هذا المعنى ونص أنه متبع لمن قبله من علماء المدينة فقال: "وأما ما لم أسمعه منهم، فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته، حتى وقع ذلك موضع الحق أو قريبا منه، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم، وإن لم أسمع ذلك بعينه"[2].

وقد حوت آراء الإمام مالك جل فقه أهل المدينة جاء في كتاب تبيين كذب المفتري: "ومالك-رضي اللّه عنه-إنما جرى على سنن من كان قبله، وكان كثير الاتباع؛ إلا أنه زاد المذهب بيانا وبسطا، وحجة وشرحا، وألف كتابه الموطأ، وما أخذ عنه من الأسمعة والفتاوى، فنسب المذهب إليه لكثرة بسطه وكلامه فيه"[3]، ويقول الشاطبي[4] في تأكيد هذا المعنى: "هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع، بحيث يخيل لبعض أنه مقلد لمن قبله"[5].

وكان تأثر الإمام مالك بالمدينة واضحا تجلى في فقهه وآرائه المنقولة عنه: "ومن تأمل الفقه المدني المأثور قبل مالك وقارنه بفقه مالك، وجد أن الفقهين ينهلان من منهل مشترك، ويصدران من منطق اجتهادي متشابه، فمذهب مالك-رحمه اللّه-ما هو إلا استمرار لمذهب أهل

---

(1)- منهجية الإمام مالك الأصولية الخصائص والآثار لمحمد التمسماني117.

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 74/2 .

(3)- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر118.

(4)- هو: "أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي، الشهير بالشاطبي، العلامة المؤلف المحقق النظار، أحد الجهابذة الأخيار ،وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف...توفي في شعبان سنة 790 هـ"شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف332/1.

(5)- الاعتصام للشاطبي 2 /631.

المدينة؛ مع توسع كبير في التفريع، ووضوح في مناهج الاستدلال ودلائل الاحتجاج"[1].

## ثالثا: توجيهه إلى طلب للعلم منذ نعومة أظفاره

من الأسباب التي شكلت شخصية الإمام مالك طلبه للعلم منذ صغره، وقد مر معنا أن والديه كانا سببا في توجيه الإمام إلى طلب العلم من نعومة أظفاره، يقول الزواوي: "فاشتغل مالك بالعلم في حال صغره، وبذل جهده في طلبه، وبالغ في تحصيله وتصدى لتدريسه والفتوى فيه مدة عمره مع طول حياته، ووفور عقله وقوة حفظه، وشدة حرصه في تعلمه وتعليمه"[2].

وكان المجتمع في المدينة المنورة حريصا على توجيه أبنائهم إلى حفظ القرآن الكريم، وحلق العلم منذ صغرهم، والإمام مالك أحد أبناء المدينة الذين وجهوا إلى ذلك فقد: "حفظ القرآن الكريم في صدر حياته كما هو الشأن في أكثر الأسر الإسلامية التي يتربى أبناؤها تربية دينية، ولابد أن تكون الأسر كذلك في مدينة الرسول-صلى الله عليه وسلم-والعهد قريب، إذ كان من القرون الأولى التي تعد خير القرون"[3].

وقد كانت أمه تعممه وهو صغير وتقول له: "اذهب إلى ربيعة؛ فتعلم من أدبه قبل علمه"[4]، يقول عبد الحليم الجندي: "وظاهر أن ذلك كان

---

[1]- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس لحاتم باي63.

[2]- مناقب سيدنا الإمام مالك لعيسى الزواوي 93 .

[3]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة31.

[4]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1 /130 .

في بواكير الحداثة، فلقد رآه الناس في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف[1] لا يبقيه في أذنه إلا الصبي"[2]، وذكر الخولي أن الإمام مالكا تتلمذ منذ صغره على شيخه علقمة بن أبي علقمة المدني[3]، وذلك لرواية الإمام عنه في الموطإ؛ ولأن علقمة كانت له حلقة يعلم فيها الصبيان القرآن والحديث واللغة العربية فيقول: "ونجرؤا القول بأن مالكا دخل مكتبا من هذه المكاتب، وربما جرؤنا على تعيين ذلك المكتب وإن لم نسمع في ذلك خبرا، ذلك أن فقيه مكتب يسمى علقمة بن أبي علقمة المدني، كانت أمه مرجانة[4] مولاة لعائشة أم المؤمنين، وهو من موالي التيميين، الذين حالفهم جد مالك ووالاهم، وكان له مكتب يعلم فيه أكثر من حفظ القرآن، إذ كان يعلم العربية والنحو والعروض"[5].

وهكذا كانت حياة الإمام منذ نعومة أظفاره يسلك طريق العلم ويتتبع أهله، ويتفرغ له فقد كان: "يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد، فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوي مع الناس، قال: يا بنية! إنه يحفظ حديث رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-"[6]، يقول أبو زهرة: "ولقد اتجه بعد القرآن الكريم إلى حفظ الحديث، فوجد من بيئته محرضا، ومن المدينة موعزا ومشجعا، ولذلك اقترح على أهله أن يذهب إلى مجالس العلماء؛ ليكتب العلم ويدرسه"[7].

وقد لازم الإمام العلماء وصبر على طلبه للعلم وما يجده من حدة عند بعض شيوخه، يقول الإمام مالك: "كنت آتي نافعا نصف النهار، وما

---

(1)- الشنف هو: "الذي يلبس في أعلى الأذن، بفتح الشين"لسان العرب183/9.

(2)- مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالحليم الجندي52.

(3)- هو: "علقمة بن أبي علقمة مولى لعائشة زوج النبي-صلى الله عليه وسلم- ومات في أول خلافة المنصور، وقد روى عنه مالك بن أنس، وله أحاديث صالحة، وكان علقمة له كتاب يعلم في العربية والنحو والعروض"الطبقات الكبرى لابن حبان5/ 426 .

(4)- هي: "مرجانة والدة علقمة تكنى أم علقمة علق لها البخاري في الحيض وهي مقبولة من الثالثة ي د ت س"تقريب التهذيب لابن حجر753.

(5)- مالك تجارب حياة لأمين الخولي69.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 131.

(7)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة31، 32.

تظلني الشجرة من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم أتعرض له فأسلم عليه، وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا، فيجيبني ثم أجلس عنه، وكان فيه حدة"[1]، ويقول أيضا: "وكنت آتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل"[2].

هذه أهم الأسباب غير المكتسبة التي حاول الباحث أن يجمع شتاتها ويؤلف بينها في هذا المبحث، فقد تهيأت هذه الأسباب للإمام مالك وكان لها الأثر البين في تكوينه العلمي والنفسي؛ فجعلت منه علما من أعلام الأمة الإسلامية وأحد فقهاء المذاهب الأربعة المتبوعة في شتى بلاد الإسلام.

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 132/1 .

(2)- المصدر نفسه 132/1 .

**المطلب الثانـــي: الأسباب المكتسبة في بناء شخصية الإمام مالك**

من الواجب على الداعية أن يؤسس نفسه ليتحمل عبء الدعوة وتكاليفها، وهذا لا يتأتى إلا بسلوك الطريق الذي اجتازه قبله العلماء والفقهاء والدعاة، والمتأمل لشخصية الإمام مالك يظهر له أن الإمام لم يتأهل للمكانة التي تبوأها من العلم في الفقه والحديث والدعوة إلى اللّه؛ إلا بعد أن اكتسب عوامل كثيرة عود نفسه عليها لتتحمـــل هذه المشاق والمتاعب فـــي سبيـــل ما يصبو إليه، وقد وفقه اللّه-سبحانه وتعالى- للوصول إلى مكانته المعروفة، وذلك بعد اتصافه بصفات مميزة في شخصيته حمل نفسه على ملازمتها حتى تبوأ المكانة العظيمة بين علماء الأمة الإسلامية، ويرى الباحث أن هذه العوامل تتلخص في الآتـــي:

**أولاً: جُلوسه بين يدي العلماء**

من أبرز الصفات التي اتصف بها الإمام مالك كثرة أخذه عن العلماء، ومجالسته لهم، وطلبه للعلم على أيديهم؛ فقد جالس العلماء منذ نعومة أظفاره كما مر معنا بتوجيه من والدته، أخذ العلم في بداية طلبه على شيخه ربيعة بن عبدالرحمن، فنهل من علمه وأدبه، ولازمه فترة من الزمن، ثم انطلق الإمام يجالس غيره من العلماء ينهل من علمهم، يقول أبو زهرة: "ولكن طلب العلم من مجالس العلماء المختلفة، لا يكون الملكة العلمية التي ينشأ عليها الناشئ، بل لابد من أن يلازم عالما من بينهم، وأن يختصه بكثرة الملازمة وقتا يتم فيه تحصيله وتكوينه، حتى إذا تخرج عليه اتجه إلى الدراسة حرا، بعد أن يكون عنده من العتاد العلمي ما يمكنه من الاستقلال الفكري"[1].

---

[1]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة32.

ولما لازم الإمام شيخه ربيعة واستفرغ ما عنده من العلوم، انقطع عنه إلى غيره من العلماء ليجالسهم وينهل من علمهم؛ حيث جلس الإمام بين يدي شيخه ابن هرمز ولازمه مدة من الزمن يقول الإمام: "انقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين-وفي رواية ثمان سنين-لم أخلط بغيره، وكنت أجعل في كفي تمرا، وأناوله صبيانه وأقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا: مشغول"[1].

فقد خشي الإمام أن ينشغل شيخه بغيره إن جاءه آت فأعطى الصبية ليحول بينه وبين من يقطع خلوته بشيخه: "ولقد انقطع مالك إلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج سبع سنين، أو أكثر لم يخلطه بغيره، وكان يعطي صبيان ابن هرمز هذا تمرا، ويقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا: مشغول، وهو يريد بذلك أن يخلص الشيخ له، فيأخذ عنه أكثر ما يستطيع"[2].

ويقول أبو زهرة معلقا على هذه الخبر: "وقد اتجه في معدن العلم إلى عالم اختصه بطول ملازمته، بل قصر نفسه عليه أمدا طويلا لم يخالطه فيه بغيره من العلماء كما جاء على لسانه، وأن ذلك الاختصاص لم يبدأ في أول طلب العلم"[3].

وأدرك شيوخ الإمام مالك أنه سيكون له شأن في هذه الأمة، لما يرون من مؤهلات اتصف بها، فقد ثبت عن شيخه ابن هرمز أنه قال يوما لجاريته: "من بالباب؟ فلم ترَ إلا مالكا، فرجعت فقالت له: ما ثم إلا ذاك الأشقر، فقال لها: دعيه فذلك عالم الناس"[4].

وكان الإمام مالك يحرص كل الحرص على ملازمة العلماء ومجالستهم، وعدم تضييع أية لحظة للاستفادة من علمهم، يروي القاضي عياض بسنده أن الإمام مالكا: "كان يقود نافعا من منزله إلى المسجد،

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/131 .

(2)- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة 73.

(3)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة34.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/ 131.

وكان قد كف بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع"[1].

يقول أبو زهرة: "وهذا الخبر يدل على عظيم ما كان يبذله مالك في طلب العلم، ففي تلك البلاد الحارة يخرج في الظهر إلى منزل نافع، وهو في البقيع خارج المدينة يترقب خروجه من منزله، ثم يصطحبه إلى المسجد، حتى إذا استقر نافع، واطمأن ألقى عليه أسئلة في الحديث والفقه، فأخذ عنه حديثا كثيرا، وتلقى عليه فتاوى ابن عمر، ولابن عمر مكانته في فقه الأثر"[2].

وقد حرص الإمام مالك على مراجعة شيوخه وزيارته لهم، حتى بعد تصدره وجلوسه للتعليم وانتشار خبره بين الناس، فقد روي عن الإمام أنه قال: "إن كان الرجل ليختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، فظننا أنه يريد نفسه مع ابن هرمز"[3]، ففي هذا الأثر عن الإمام مالك حسن الوفاء لمشايخه الذين تتلمذ على أيديهم، فقد لازم الإمام شيخه ملازمة منقطعة دون أن يَرد على غيره من العلماء، وبعدها لازم غيره من المشايخ وخالطهم إلا أنه لم ينقطع عن مدارسة شيخه بعد هذه المدة، يقول أبو زهرة: "ويظهر أن هذه المدة كانت هي المدة التي لم يخالطه فيها بغيره من العلماء، أي لم يتلق فيها عن أحد سواه، ويظهر أنه كان يلازمه بعدها ملازمة يخلط فيها بغيره من العلماء ويأخذ عنهم"[4].

ولاشك أن كثرة جلوس الإمام مالك بين يدي مشايخه له أثره على تكوين شخصيته؛ فالتكوين العقلي المبكر لكل شخص يكون له الأثر الإيجابي على تعلمه وفقهه، وقد نبغ الإمام مالك مبكرا وجالس

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/ 132.

[2]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة/36، 37.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 131/1.

[4]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 34.

العلماء، وجلس للتعليم في سن مبكرة بعد شهادة شيوخه له برسوخه في العلم، يقول الزواوي: "فجلس لتدريس العلم وهو ابن سبعة عشر سنة وأشياخه متوافرون، فمتع الله به المسلمين بطول حياته، فعاش قريبا من تسعين سنة، ومكث يفتي الناس ويعلمهم نحوا من سبعين سنة، وشهد له التابعون بالفقه والحديث، واحتاج إليه معلموه وسألوه عن أمر دينهم"[1].

ولكثرة جلوس الإمام بين يدي العلماء تأثرت شخصيته ببعض شيوخه، سواء بآرائه الفقهية أم بأخلاقه، يقول أبوزهرة بعد نقله قول الإمام مالك في ملازمته لشيخه ابن هرمز: "الأمر الثالث: أن مالكا تأثر كل التأثر بما تلقاه عن ابن هرمز، فهو من الشيوخ الذين وجهوا ميوله إلى وجهتها، ولقد كان مالك يتخذه من بين العلماء إسوة صالحة"[2].

وبرز هذا التأثر في مواقف كثيرة، فقد كان الإمام مالك يكثر من قول: لا أدري، يقول تلميذه ابن وهب: "كان مالك يقول في أكثر ما يسأل عنه لا أدري"[3]، كما أوصى بذلك شيخه ابن هرمز، فقد روى مالك عنه أنه كان يقول: "ينبغي أن يورث العلم جلساءه قول لا أدري، حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يروي قال: لا أدري"[4].

وقد كان الإمام مالك يخص في الرواية عن شيخه ابن هرمز بعض العلوم ويترك بعضها، فيقتصر على علم الحديث والفقه، ويترك ما فيه الجدال والمراء، ليس عجزا منه وإنما لعلمه بما ينفع الناس في الدنيا

---

[1]- مناقب سيدنا الإمام مالك لعيسى الزواوي62.

[2]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة34،35.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/ 182.

[4]- المصدر نفسه 1/ 182.

والآخرة، فقد روي عن الإمام أنه وصف شيخه بأنه: "كان أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء، وبما اختلف فيه الناس"[1].

يقول أبو زهرة: "فهذه العبارة تفيد أنه كان يتلقى عليه اختلاف الناس في الفتيا والفقه، ويتلقى عنه الرد على أهل الأهواء، وهذا هو السر في أنه لم ينشر كل علمه بين الناس..، فإن مالكا كان يقتصر فيما يلقيه على تلاميذه على الحديث والفتيا في المسائل الفقهية، ولا يعدو هذين الأمرين"[2].

## ثانيا: جمعه بين الفقه والحديث

مما تميز به الإمام مالك أنه جمع بين الفقه والحديث، ولم يكن الإمام مقتصرا على الفقه، ولا على الحديث منفردا، بل كان محدثا فقيها، جمع في طلبه بينهما، فقد اهتم الإمام بالحديث منذ صغره، واستفاد من أهل الأثر وأصحاب الرأي على حد سواء، وتتلمذ على أبرز المحدثين والرواة الذين جمعوا أصح الأسانيد، كابن شهاب الزهري، ونافع مولى ابن عمر، وتتلمذ على شيخه ربيعة المعروف بـ"ربيعة الرأي"، وكان الإمام مالك من أوائل العلماء الذين ألفوا كتابا جامعا شاملا لكل أبواب الشريعة، يقول ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري: "وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام، فصنف الإمام مالك الموطأ، وتوخى فيه القوي

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1 /82.

[2]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 35.

من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى والتابعين ومن بعدهم"[1].

وقد كان الإمام مالك من الفقهاء المحدثين الذين يفقهون معاني الأحاديث، ويضعونها في الأبواب الفقهية التي تناسبها، يقول عبد الفتاح أبو غدة-رحمه الله-: "تأليف الحديث وجمعه في كتاب على الأبواب الفقهية لا ينهض به إلا فقيه يدري معاني الأحاديث ويفقه مداركها ومقاصدها، ويميز بين لفظ ولفظ فيها، وهذ النمط من العلماء المحدثين الفقهاء يعد نزرا يسيرا بالنظر إلى كثرة المحدثين الرواة والحفاظ الأثبات، إذ الحفظ شيء والفقه شيء آخر أميز منه، وأشرف هذه الأوصاف عزيزة الوجود في العلماء قديما، فضلا عن شدة عزتها في الخلف المتأخر، ويخطيء خطأ مكعبا من يظن، أو يزعم أن مجرد حفظ الحديث، أو اقتناء كتبه والوقوف عليه يجعل من فاعل ذلك عارفا بالأحكام الشرعية ودقيق الاستنباط"[2].

وكان العلماء يجمعون بين علوم الشريعة كلها، حيث لم تكن العلوم منفردة عن بعضها، وقد تميز الإمام بهذه الخاصية فجمع بين العلوم الشرعية لا سيما الفقه والحديث، يقول أبو زهرة عن شخصية الإمام: "ولم يكن ذلك الانفصال قد تم على وجه كامل في عهد مالك-رضي الله عنه-، فكان الفقيه هو المحدث، ولعلك لا تجد عالما قد اجتمعت له الصفتان بقدر كامل، ويكون متساويا في الناحيتين، كمالك-رضي الله عنه-، فهو الحافظ المحدث"[3].

---

[1]- فتح الباري لابن حجر 6/1.

[2]- مقدمة التعليق الممجد على موطأ محمد لعبد الحي اللكنوي14/1.

[3]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة212.

وتظهر شخصية الإمام مالك الفقيه والمحدث عند الاطلاع على كتابه العظيم الموطأ الذي ظل ينقحه سنوات طويلة، وشمل كل أبواب الفقه وما له علاقة بأعمال الناس وعباداتهم، يقول ابن العربي: "وقد أظهر مالك طريقته التي سار عليها في الرواية في كتابه الموطإ، فأثبت فيه أحسن ما صح عنده من الآثار المروية عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- ، وما روي عن الخلفاء الراشدين، وفقهاء الصحابة ومن بعدهم من فقهاء المدينة"[1].

وعند التأمل في كتاب الموطإ يتبين للقارئ أن الامام مالكا جمع فيه بين الأحاديث النبوية وفقه الصحابة و آراء التابعين، مع ذكر رأيه في كثير من المسائل؛ فقد دون الإمام فيه فتاوى الصحابة الكرام، كعمر بن الخطاب، وابنه عبد اللّه، والسيدة عائشة- رضي اللّه عنهم- ، وغيرهم من الصحابة الكرام وفتاوى كبار التابعين، وكانت هذه الفتاوى مصدرا لكثير من التفريعات الفقهية في الفقه المالكي، يقول الإمام مالك لما ذكر له الموطأ: "فيه حديث رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- ، وقول الصحابة والتابعين ورأيي، وقد تكلمت برأيي وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلى غيره"[2]، فقد بين الإمام أنه جمع في الموطإ الأحاديث النبوية المرفوعة، وآثار الصحابة الكرام، وآراءه الفقهية الاجتهادية، يقول أبو زهرة عن الموطإ : "فهو وإن كان كتاب حديث ممحص السند والمتن، هو كتاب فقه يشمل على رأي مالك في المسائل الفقهية التي تشمل موضوعاته، وهو مرتب ترتيبا فقهيا، وهو أصدق كتاب ينبيء عن علم

---

[1]- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي 1/ 122.

[2]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 73.

مالك بالفقه والحديث"[1]، وقدجمع الإمام في الموطأ المرفوع إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وما عليه العمل الفقهي عند أهل المدينة، يقول الشرباصي: "وينبغي أن نلاحظ أن الموطأ ليس كتاب حديث بالمعنى المألوف لكتب الأحاديث، بل هو كتاب فقه، فقد كان هم مالك فيه أن يبين إجماع أهل المدينة، أو الفقه المدني بتعبير آخر،..وقد جمع فيه أدلة السنة المدنية، وسرد مسائل الفقه على أساسها،..ويعد مالك في موطئه شارحا للأحاديث من وجهة النظر العملية"[2]، ويقول يوسف القرضاوي: "والموطأ كتاب جامع، ففيه الحديث وفيه الفقه، وفيه أصول الفقه وفيه الدعوة وفيه التربية"[3].

ولم يتقيد الإمام فيه بالأحاديث المرفوعة، بل جمع فيه أقوال الصحابة، وفتاويهم وفتاوى التابعين، وذكر فيه كل الأبواب الفقهية، وتبعه في ذلك من جاء بعده من الفقهاء، فيذكر في مقدمة الباب ما ورد فيه من حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم أقوال الصحابة، ويردفها بأقوال التابعين وتفسيراتهم، وقد يذكر العمل المجمع عليه في المدينة، فيذكر فيه بعض الآراء الفقهية، ثم فتاوى الإمام في الباب، وجوابه لما يسأل عنه عن مسائل الباب، جاء في مقدمة المسالك: "وقد بوب مالك كتابه الموطأ على أبواب بحسب ما يحتاج إليه المسلمون في عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم، من معرفة العمل فيها الذي يكون جاريا بهم على السنن المرضي شرعا؛ فإن الأمة ما قصدت من حفظ كلام رسول

---

[1]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة213.

[2]- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة / 93 ، 94.

[3]- مقدمة كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي بتحقيق: محمد السليماني، وعائشة السليماني 20/1.

اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-وأفعاله إلا الاقتداء به في أعمالهم، وقد تبعه على هذا التبويب البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم"[1].

وقد كان الإمام مالك من العلماء المبرزين الذين جمعوا بين الفقه والرواية فيهما، وقلما يجمع أحد بين العلمين، يقول عبد الفتاح أبو غدة: "فلا شك في يسر الرواية بالنظر لمن توجه للحفظ والتحمل والأداء، وآتاه اللّه حافظة واعية، فلهذا المتأهلون للرواية أكثر من المتأهلين للفقه والاجتهاد، روى الحافظ الرامهرمزي[2] بسنده عن ابن سيرين[3]، قال: "أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث وأربعمائة قد فقهوا[4]"[5].

وينصح الإمام مالك طلابه بسلوك منهج الجمع بين الفقه والحديث، فقد وجه طلابه إلى ضرورة الجمع بين هذين العلمين، حيث روي عنه أنه قال لأبناء أخته: "أراكما تحبان هذا الشأن-يعني الحديث- فإن أردتما أن ينفعكما اللّه به فأقلا منه، وتفقها فيه"[6].

وتعد المدونة أهم المصادر الفقهية التي جمعت أقوال الإمام مالك في كل أبواب الفقه، وهي أصل المذهب وعمدته، يقول ابن رشد[7]:

---

(1)- 1/ 123.

(2)- هو: "أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الرامهرمزي القاضي: صاحب كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي في علوم الحديث،.....مات سنة تسعين ومائة" سير أعلام النبلاء للذهبي 75/16.

(3)- هو: "محمد بن سيرين الإمام الربانى أبو بكر مولى أنس بن مالك محمد بن سيرين، الإمام الربانى، أبو بكر مولى أنس مالك،..وكان فقيها إماما غزير العلم، ثقة ثبتا، علامة في التعبير، رأسا في الورع، وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق-رضي اللّه عنه-، ...توفي في شوال سنة عشر ومائة"تذكرة الحفاظ للذهبي 62/1.

(4)- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي / 560.

(5)- مقدمة التعليق الممجد على موطأ محمد لعبد الحي اللكنوي14/1.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 3/ 155.

(7)- هو: "محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي يكنى أبا الوليد القرطبي، زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم، ..ألف كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، وهو كتاب عظيم نيف على

"وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ عن غيرها ولا يجزئ غيرها عنها"[1]، فالمدونة هي خلاصة أقوال أشهر أئمة المذهب المالكي، على رأسهم إمام المذهب مالك بن أنس، يقول عمر الجندي: "فالمدونة الموجودة بين أيدينا هي ثمرة مجهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتدوينه وبعض إضافاته، ذلك أنها أساس سماعات ابن القاسم من مالك"[2].

## ثالثا: التحري والتدقيق

من الأسباب التي اكتسبها الإمام واتصف بها صفة التحري والتدقيق؛ فكان علما تضرب له أكباد الإبل بالطلب والقصد، حيث كان الإمام يسلك سبيل التحري والتدقيق في شؤون حياته العلمية كلها، فقد تميز في تعامله مع السنة النبوية بالتحري المطلق فيها، في اختيار شيوخه والرواية عنهم، والتدقيق في اختيار متون الحديث للعمل بها وروايتها، وتدوينها في الموطإ، ووضع منهجها واضحا له ولمن بعده فقال: "من جعل التمييز رأس ماله عدم الخسران، وكان على زيادة"[3]، ولذلك يقول تلميذه الإمام الشافعي عنه : "إذا جاء الحديث عن مالك فشد به"[4] .

وقد بدأ الإمام منهج التحري والتدقيق من بداية طلبه للعلم، وذلك في حسن اختيار مشايخه فقد وضع لنفسه منهجا ينتقي به شيوخه الذين يروي عنهم، فقد رُوي عنه أنه قال: "لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-عند هذه الأساطين، وأشار إلى

---

عشرين مجلدا، وكتاب المقدمات لأوائل كتب المدونة... توفي-رحمه الله-ليلة الأحد، ودفن عشية الحادي عشر لذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة،..ومولده في شوال سنة خمس وأربعمائة "الديباج المذهب لابن فرحون 250/2.

[1]- المقدمات الممهدات لابن رشد1/ 45.

[2]- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لعمرالجيدي/177.

[3]- إسعاف المبطإ برجال الموطأ للسيوطي 12 .

[4]- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 14/1.

المسجد ، فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"[1].

وقد نقل كثيـــر من الأقـــوال عن علماء الجرح والتعديل في مدح منهج التحري والتدقيق عند الإمـــام مالك، يقول ابن معين[2]: "لا تبال أن تسأل من رجال مالك، كل من حدث عنه ثقة إلا رجلا أو رجلين"[3]، ويقـول فـي موضـع آخـر: "كـل مـن روى عنـه مالـك فهـو ثقـة، إلا عبـد الكريم أبا أمية[4]"[5]، وقال سفيان بن عيينة[6]: "كان مالك لا يأخذ الحديث إلا من جيده"[7]، ويقول الشافعي: "إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به"[8]، ويقول الإمام أحمد: "ما روى مالك عن رجل إلا وهو ثقة، كل من روى عنه مالك فهو ثقة"[9]، وقد نص العلماء أن أصح الأسانيد هو الطريق الذي يرويه الإمام مالك، يقول البخاري: "أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر"[10].

ولشدة تحريه وتدقيقه في العلم كان الإمام يسأل شيخه إذا أسقط راويا في السند ، فقد ثبت عن مالك أنه قال: "كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر، فيقول الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا، فإذا كان

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1 /136.

(2)- هو: "يحيى بن معين بن عون الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة ع" تقريب التهذيب لابن حجر 597.

(3)- مختصر الكامل في الضعفاء للمقريزي 259.

(4)- هو: "عبد الكريم بن أبي المخارق بضم الميم وبالخاء المعجمة، أبو أمية المعلم البصري، نزيل مكة، واسم أبيه قيس وقيل: طارق ضعيف ... وله ذكرفي مقدمة مسلم، وما روى له النسائي إلا قليلا من السادسة أيضا مات سنة ست وعشرين ومائة"تقريب التهذيب لابن حجر361.

(5)- مختصر الكامل في الضعفاء للمقريزي 602، وقد أخرج له الإمام في موطئه حديثا واحدا، وعلل ابن عبدالبر سبب إيراد الإمام مالك حديث أمية في موطئه فقال: "ولم يخرج مالك عن عبدالكريم بن أبي المخارق حكما في موطئه، وإنما ذكر فيه عنه ترغيبا وفضلا" التمهيد لابن عبدالبر 20/ 65.

(6)- هو: "سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة وكان أثبت الناس في عمرو ابن دينار مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة ع" تقريب التهذيب لابن حجر 245.

(7)- حلية الأولياءلأبي نعيم 322/6.

(8)- المصدر نفسه 322/6.

(9)- بحر الدم فيمن تكلم عنه الإمام أحمد بمدح أو ذم لابن المبرد193.

(10)- معرفة علوم الحديث للحاكم 53 ، ومقدمة ابن الصلاح 16.

بعد ذلك جلسنا إليه، فقلت: الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به؟ قال: ابنه سالم"[1].

وقد نصح الإمام من يطلب العلم أن يكون منهجه في العلم التحري والتدقيق، فقد ثبت عنه أنه قال: "إن هذا العلم هو لحمك ودمك وعنه تسأل يوم القيامة، فانظر عمن تأخذه"[2].

وعند الوقوف على كتابه الموطإ يتيبن لقارئه مدى شدة تحري الإمام والتدقيق في انتقاء الأحاديث، فقد جاء في كتاب النكت أن الإمام مالكا: "روى مائة ألف حديث جمع منه في ابتداء تأليفه عشرة آلاف، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار حتى وصلت إلى خمسمائة"[3].

والمرويات في الموطإ تدل على مدى دقة الإمام وانتقائه لها فقد: "دلت مرويات الموطإ على نوعية اختيار في الفقه والرواية، وتوافق خاص مع شخصية مالك العلمية والعقلية والخلقية وتحر صادق، وانتقاد مخلص للنصوص دراية ورواية، فإن دلالتها اللغوية وأصالتها البيانية تؤكد على حسن هذا الاختيار المعنوي"[4].

وقد كان من منهج الإمام في الموطإ انتقاؤه الصحيح من الحديث، ويردفه بما يفسر الحديث إن كان فيه غموض يقول ابن حجر: "فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة ومن بعدهم"[5]، وكان يتحرى ألفاظه في الموطإ، وينتقي أدقها لبيان مراده بلغة ميسرة مفهومة، فلغة الموطإ في غالبها: "واضحة المعنى جلية المضمون، ومن القليل أن تجد ألفاظا غامضة مع أن ما بيننا

---

(1) - الكفاية للخطيب البغدادي211.

(2)- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي416.

(3)- النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي 1/ 194.

(4)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 333.

(5)- فتح الباري لابن حجر1/ 6.

وبين الموطإ ما يزيد عن ألف عام، ولكن قد تجد ألفاظا لم يعتد القارئ العادي على مثلها، وحين يرجع إلى تفسيرها يزول ما فيها من غموض"[1].

ومن مظاهر التحري عند الإمام وتدقيقه في السنة النبوية أنه كان يرى ضرورة الالتزام بألفاظ الحديث، وأداؤها على الوجه الذي سمعه، يقول معن بن عيسى[2]: "كان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-ما بين التي والذي ونحوهما"[3]، و يقول عنه الجويني[4]: "وأما الإمام مالك فلا يشق غباره في ضبط ما يصح من الأخبار والآثار والأقضية ووقائع الصحابة، ولا يدرك آثاره في درك سبل الصحابة، والطرق التي منها يتطرق الخلل وإمكان الزلل إلى النقلة"[5].

ومن مظاهر التحري والتدقيق عند الإمام مالك تحريه في الفتوى، والتأني في إصدار الحكم الشرعي للمستفتي وتحرجه منها فمن: "مظاهر عقليته تأنيه في الفتوى، وتحريه في الإجابة، وإنصافه للسائل، وهي منقبة جليلة القدر، عظيمة الأثر في إمام يأتسي بأقواله وآرائه جمهور كبير من المسلمين"[6].

وقد وصف الإمام أنه: "كان إذا سئل عن المسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها، فينصرف ويتردد فيها"[7]، وهذا مما تميز به الإمام مالك في منهجه في الفتوى هو التأني وعدم التسرع في الإجابة

---

(1)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 334، 335.

(2)- هو: "معن بن عيسى القزاز، أبو يحيى، روى عن مالك وجماعة وروى عنه بن المديني وابن معين والحميدي وسحنون، وكان ربيب مالك، وهو الذي قرأ عليه الموطأ للرشيد وابنيه الأمين والمأمون وخلف مالكا في الفقه بالمدينة وله سماع من مالك معروف، وهو من كبار أصحاب مالك، كان أشد الناس ملازمة لمالك، وكان يتكئ عليه عند خروجه إلى المسجد حتى قيل له: عصية مالك، وهو ثقة خرج عنه البخاري ومسلم، وسمع معن من مالك أربعين ألف مسألة، مات معن سنة ثمان وتسعين ومائة في شوال منها بالمدينة" الديباج المذهب لابن فرحون 2/ 345،346.

(3)- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي 178.

(4)- هو"إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين ، الشافعي، صاحب التصانيف،....لأبي المعالي كتاب نهاية المطلب في المذهب ؛ ثمانية أسفار، وكتاب الإرشاد في أصول الدين ، كتاب الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية ، كتاب الشامل في أصول الدين، كتاب البرهان في أصول الفقه... توفي: في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة" سير أعلام النبلاء للذهبي18/ 476.

(5)- البرهان في أصول الفقه للجويني 2/ 748، 749.

(6)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 47.

(7)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 178.

للمستفتي، فهو يعلم أنه مبلغ عن الله-تعالى- فقد كان: "إذا سئل عن المسألة قال للسائل انصرف حتى أنظر فيها فينصرف ويتردد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من السائل يوم، وأي يوم؟ فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر بصفرة فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه، ثم يقول: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة"[1].

وقد سمى بعض العلماء هذا الحرص بالأهلية الأخلاقية للمفتي، حيث إن: "المعرفة الفقهية وحدها لا تكفي للمفتي، بل لابد من تحصيل الشروط الأخلاقية، وأولها الأهلية الأخلاقية الكاملة التي تمكن صاحبها من عدم التسرع في الفتوى دون ربطها بالمسؤولية الأخلاقية للمفتي"[2].

وهذا هو دأب الإمام مالك؛ لا يقول بحكم في مسألة ما إلا بعد مراجعة لها، وتثبته في الأقرب للصواب، فهو يعلم أنه إمام متبوع، وقوله سينتشر في آفاق الأمصار، وهذه هي صفات حامل العلم، وأبرز أخلاق العلماء: "فالمسؤولية الأخلاقية للمفتي تقتضي أن يكون محصلا لهذا الشرط الأخلاقي، ولذلك كان من منهج الإمام مالك عدم التسرع في الفتوى، بل لابد من تقليب النظر والحظر من الآفات الباطنة التي يمكن أن تلابس الفتوى"[3].

وورد عن الإمام الكثير من الأقوال والمواقف التي تدل على شدة تحريه، وتثبته في الكلام في المسائل الشرعية، حيث كان شعاره- رحمه الله-الاحتياط في أمور الدين، ومن كلامه المشهور في هذا الباب قوله: "ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام، لأن هذا هو القطع في

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 178.

[2]- مسائل الإمام مالك من خلال الموطإ لعبدالله معصر6 بتصرف .

[3]- المرجع نفسه6.

حكم اللّه"[1]، ويقول أيضا: "ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلتي"[2].

فقد كان الإمام يزن كل كلمة تخرج منه، ولا يجيب عنها إلا بعد دراسته لها: "وهذا طريقه في الفتوى ودستوره في المسائل، كان يزن كل كلمة تصدر عنه بميزان دقيق، ويقيس كل حكم يدلي به، وما أقل ما كان يصدر من فتاوى، وما أكثر ما يجيب لا أدري"[3].

وقد كان الإمام يعيب على من تسرع في الفتوى ولم يتأن فيها، فقد قال ابن وهب: "وسمعته يعيب كثرة الجواب من العالم"[4]، وكان يقول: "من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب"[5].

ومن شدة تحري الإمام أنه كان يتحاشى الرواية عن العراقيين؛ لأنهم كانوا لا يتوثقون عمن يتحملون عنه الحديث، فقد سئل الإمام لم لا تحدث عن أهل العراق؟ فقال: "رأيتهم إذا جاؤونا يأخذون الحديث عن غير ثقة"[6]، وكذلك تحريه في نقل الأخبار عن أهل الأهواء أو الرواية عنهم، حيث نقل عنه النهي عن الرواية عنهم مطلقا، يقول الإمام: "لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم، إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث"[7].

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/ 177.

[2]- المصدر نفسه 1/ 178.

[3]- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة 2/ 95.

[4]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 190.

[5]- المصدر نفسه 1/ 179.

[6]- المصدر نفسه 1/ 189.

[7]- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني125.

ومن صور تحري الإمام وتدقيقه أنه لم يقبل رواية إلا من عرف بالفقه والعلم والرواية، فقد ثبت عنه أنه قال: "أدركت بالمدينة مشايخ أبناء مائة وأكثر، فبعضهم قد حدثت بأحاديثه، وبعضهم لم أحدث بأحاديثه كلها، وبعضهم لم أحدث من أحاديثه شيئا، ولم أترك الحديث عنهم لأنهم لم يكونوا ثقات فيما حملوا، إلا أنهم حملوا شيئا لم يعقلوه"[1]، ويقول القرافي[2]: "المنقول عن مالك أن الرواي إذا لم يكن فقهيا فإنه كان يترك روايته"[3].

كل هذه الآثار الواردة المنقولة عن الإمام مالك تبين مدى منهج الإمام في التحري والتدقيق الذي سار عليه طيلة حياته، وهذا المنهج هو الواجب على الداعية أن يسلكه في مسيرته الدعوية لتكون لدعوته الأثر في المجتمع الذي يعيش فيه، فالواجب أن يلتزم به كل داعية إلى اللّه-تعالى-، فهو عرضة للسؤال من قبل المدعوين، ويتعرض للإفتاء فالواجب عليه أن يستعد لذلك، ويتحرى ويدقق في كل فتوى ينطق بها، وهذا لا يتأتى إلا بالعلم والفقه في دين اللّه-تعالى-، ويحتاط احتياطا شديدا، وإذا سئل تأنى ولم يتعجل في الإجابة عنها، ويسلك في ذلك منهج الإمام مالك.

---

[1]- التمهيد لابن عبدالبر1/ 67.

[2]- هو: "شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن أبي العلاء: إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري: الإمام العلامة وحيددهره وفريد عصره، أحد الأعلام المشهورين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك-رحمه الله تعالى- .... وألف كتبا مفيدة انعقد على كمالها لسان الإجماع، وتشنفت بسماعها الأسماع منها: كتاب الذخيرة في الفقه من أجل كتب المالكية وكتاب القواعد الذي لم يسبق إلى مثله... وتوفي-رحمه الله- بدير الطين في جمادى الآخرة عام أربعمائة وثمانين وستمائة، ودفن بالقرافة" الديباج المذهب لابن فرحون 239/1.

[3]- شرح تنقيح الفصول للقرافي369.

## رابعا: كراهيته للجدل والمراء

رسم الإمام مالك منهجا واضحا سار عليه وتعامل مع المدعوين وفق هذا المنهج، وهو بيان شرائع الإسلام دون الخوض في تفاصيل المسائل الخلافية الجدلية، فقد جاءه رجل فقال له: "إن الأهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي أن آتيك إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرني به، فوصف له مالك شرائع الإسلام الصلاة والزكاة والحج والصوم، ثم قال: "خذ بها، ولا تخاصم أحدا"[1]، فقد بين الإمام للرجل شرائع الإسلام عامة دون الخوض في التفاصيل، ثم نصحه نصحية عظيمة في ترك المخاصمة وترك الجدال في الدين، وقد كان هذا هو منهجه في المسائل الخلافية الجدلية في العقيدة وغيرها من المسائل ، فقد روي عنه أنه قال: "ليس الجدال في الدين بشيء"[2]، وروي عنه أيضا: "الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسيه، ويورث الضغن"[3].

ولذا وصف مجلس الإمام بأنه: "ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط"[4]، وكان هذا دأب الإمام -رحمه الله- في مجلسه يجتنب الخصومات فقد كان: "يجانب المراء والخصومات، ويقلل من الكلام والمناقشات، وينتقي لمجالسه ولموطئه أنسب الألفاظ، وأبلغها في النفس، وأوقعها في القلب"[5].

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2 / 47.

(2)- الانتقاء لابن عبد البر34.

(3)- سير أعلام النبلاء للذهبي 8/ 106.

(4)- المصدر نفسه 8/ 79.

(5)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان337.

وقد بوب الإمام في كتابه الموطإ: "باب النهي عن القول بالقدر"[1]، وفيه إشارة من الإمام إلى كراهيته للجدل والخوض في مسائل القدر، يقول ابن العربي: "ووجه كراهية الكلام فيه: أن الخوض فيه لا يؤول إلى بيان؛ لأن البيان إذا تعرض لبيانه فسد وخرج عن حده، إذ المفعول لا يفعل، والموجود لا يوجد ،.. فبعد أن استقر القول فيه والبيان، لا يبقى إلا الاعتراض المشكك"[2].

ورغم نهي الإمام مالك عن الخوض في الجدال والمراء وفيما لا تحته عمل، إلا أنه عند الوقوف على أقواله في المتشابهات من الصفات يرى أن الإمام قد تكلم بكلام عام دون الخوض في التفاصيل، من ذلك ما روي أن رجلا سأل مالكا فقال: "على العرش استوى، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليا، حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ثم سري عنه، فقال الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً أخرجوه عني"[3]، وقد أشار ابن عبد البر- رحمه الله-إلى ذلك حيث ذكر أن: "مذهب مالك هو النهي عن الكلام فيما لا تحته عمل إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل، وصرف صاحبه عن مذهبه وخشي ضلالة عامة أو نحو هذا"[4]، إلا أن الإمام مالكا قد يخوض مع خواص طلابه في تفاصيل إحدى مسائل العقيدة، ويدارسها معهم بعيدا عن عوام المسلمين، فقد ألف كتابا في القدر بعثه إلى أحد أشهر طلابه وهو ابن وهب، يقول

---

[1]- الموطأ، كتاب القدر.

[2]- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي7/ 214.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 39/2.

[4]- جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر2/ 938.

القاضي عياض: "وسائر تآليفه إنما رواها عنه من كتب بها إليه، أو سأله إياها أحد من أصحابه ولم تروها الكافة، فمن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية[1]، وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن- رحمه الله-"[2].

ويرى الباحث أن منهج الإمام مالك في المسائل الخلافية التي كثر فيها الجدل والاختلاف بين طوائف المسلمين: هو بيان المنهج الصحيح دون الخوض في المجادلة مع المخالفين، وهذا يتضح مما ذكره الإمام في كتابه الموطأ، فبعد أن بوب في النهي عن القول بالقدر روى فيه عددا من الأحاديث والآثار التي تبين وجوب الإيمان بالقدر، و المنهج الصحيح بكل وضوح دون ذكر للآراء المخالفة، ثم أردف بعده باب جامع ما جاء في أهل القدر، وقد علق ابن العربي على ما ذكره الإمام مالك في هذه الأبواب من الأحاديث فقال: "إنما أدخل مالك هذا الحديث حجة على القدرية لقولهم: إن للإنسان أن يعجل ما أراد عن وقته وهو أولى؛ لأن فيه الحجة عليهم، .. وكذلك أدخل حديث: "لا تسأل المرأة طلاق أختها إلى قوله: ما قدر لها"[3] ردا على القدرية؛ لأنهم يقولون : إن الأرزاق قد قسمها الله، لكن القوي يغلب الضعيف فيأخذ رزقه، وكذلك فعل مالك في الباب الذي قبله في إدخاله الحديث قوله: "لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب

---

[1]- "القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبدٍ خالقٌ لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله-تعالى-"التعريفات للجرجاني 174

[2]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 90.

[3]- الموطأ، باب جامع ما جاء في أهل القدر.

الله وسنة رسوله"[1] فيه رد على القدرية؛ لأن القدرية تقول: لا نأخذ إلا بكتاب الله؛ لأن الحديث يكشفهم، إذ هو وحي وتفسير للقرآن"[2].

وهذا هو الواجب على الداعية أن يسلكه في دعوته مع المدعوين، ويحرص على تبيان أمور العقيدة مجملة دون الخوض في التفاصيل و الفرعيات إلا مع المتخصصين؛ لئلا يشتت عقول المسلمين ويكثر المراء والجدال بينهم، ويفتتنوا في دينهم، لأن الخوض في المسائل الخلافية دون امتلاك أدوات تحصنهم سبب للزيغ والانحراف عن الصواب، يقول الشاطبي: "جعل العلماء من عقائد الإسلام ترك المراء والجدال في الدين، وهو الكلام فيما لم يؤذن في الكلام فيه، كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما، وكمتشابهات القرآن"[3].

وعلى هذا فينبغي ألا تناقش المسائل الجدلية التي يكثر فيها الكلام بين عامة الناس، وإنما تثار هذه المسائل بين أهل العلم أنفسهم، لأن طرحها بين الناس: "تثير عليهم شبها، أو تضعف عندهم حقا، فإن للمناظرة أمام العامة سلبيات كثيرة، ومن ذلك سماعهم الشبهات، حول ما عندهم من الحق، أو حول ما عند غيرهم من الباطل"[4].

---

[1]- الموطإ، باب النهي عن القول في القدر.

[2]- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي7/ 238.

[3]- الاعتصام للشاطبي 2/ 586.

[4]- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصرلعدنان عرعور416.

## خامسا: الشجاعة في قول الحق

كان الإمام مالك ثبت الجَنان، يقول للمخطئ أسأت ولو كان من علية القوم وخاصتهم، ملئ قلبه بالإيمان فلم يخش أحدا ولا: "تأخذه في الله لومة لائم، له من شجاعة الأدب، ورسوخ العقيدة، وقوة الإيمان ما جعله لا يهاب في إبداء رأيه أحدا، ولا يخشى في مذهبه وعدا ولا وعيدا"[1]، ولا أدل على ذلك ما كان يحدث به فيقول: "ما دخلت على أحد منهم يعني: السلاطين، إلا أذهب الله هيبته من قلبي، حتى أقول له الحق"[2].

وكان من منهج الإمام مالك تقديم النصائح والإرشادات للخلفاء، ولم يكن يطريهم أو يثني عليهم بما ليس فيهم، ويرى هذا الإطراء من النفاق والكذب في دين الله-تعالى-، فقد أثنى أحد الحاضرين على أحد الخلفاء في مجلس الإمام، والخليفة يسمع هذا الإطراء، فقال الإمام مخاطبا الخليفة: "إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك، أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك، وترضى بها من يقولها لك في وجهك، فإنك أنت أعرف بنفسك منهم"[3].

ومن المواقف التي تبين شجاعة الإمام أنه لما خرج والي المدينة في العيد بموكب عظيم، وقد رفعت فيه الرايات والأسلحة نظر إليهم الإمام وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم-والخلفاء الراشدون"[4]، فلما بلغ والي المدينة مقالة الإمام أتاه فقال: "يا أبا عبد الله! ما الذي أنكرت؟ قال ما رأيت معك! إنما أتى الناس

---

(1)- مالك بن أنس إمام دار الهجرة مالك بن أنس لعبد الحليم 79 .

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 96/2

(3)- المصدر نفسه 2/ 100.

(4)- المصدر نفسه 2 /104.

الصلاة خاشعين يرجون المغفرة"[1]، وقد امتنع الإمام عن تدريس أبناء الخليفة لما طلب منه تدريسهم في قصره، فبعث له الإمام مالك قائلا: "منكم خرج العلم، وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تدعوا حملته إلى أبوابكم"[2].

وقد كان الإمام مالك في تعامله مع الحكام شديد الصراحة في بيان الحق لهم دون مجاملتهم في باطلهم أو مسايرتهم فيه، فقد كان الإمام: "يتشدد كل التشدد فيما كان له بالدين صلة إذا حاول هذا الخليفة أو ذاك أن يحدث بدعة، أو يعطل حكما دينيا"[3].

وقد وضع الإمام منهجا لمن أراد أن يدخل على الإمام أساسه الأمر بالخير والنهي عن الشر، يقول الإمام مالك: "حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل"[4]، وقد عاتبه بعض الناس فقيل له: "تدخل على السلاطين! وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: يرحمك الله وأين المتكلم بالحق؟"[5].

وكان الإمام مالك يسير على هذا المنهج فإذا دخل على الولاة وعظهم، وحثهم على مصالح المسلمين فقد: "دخل يوما على هارون الرشيد[6] فحثه على مصالح المسلمين، وقال له: لقد بلغني أن عمر بن

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/104.

(2)- المصدر نفسه 2 /19.

(3)- الأئمة الأربعة مصطفى الشكعة 2 / 53.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 95.

(5)- المصدر نفسه2/ 95

(6)- هو:"هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكان يحب العلم وأهله، ويعظم حرمات الإسلام، مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان، ودفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة، وصلى عليه ابنه صالح"تاريخ الخلفاء للسيوطي210.

الخطاب كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته، وقد رضي الناس منكم بدون هذا"[1].

ولذلك كان للإمام أعظم التأثير على الولاة، ولا يردون كلامه ونصائحه فقد: "ناظر أبو جعفر المنصور[2] مالكا في مسجد النبي-صلى الله عليه وسلم-فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أميرالمؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد، إن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3]، فاستكان أبو جعفر"[4].

وقدلحقته الأذية بمواقفه وشجاعته في قول الحق، وأشهر هذه المواقف موقفه في قضية الطلاق بالإكراه؛ لأنها تعلقت بمبايعة الخليفة: "ومن أجل هذه الصراحة تعرض-رحمه الله-للضرب والأذية، فلقد كانت الدولة في عصره تأخذ الناس بالطلاق في البيعة؛ فأفتاهم-رضي الله عنه-بعدم لزوم طلاق المكره، رغم نهيه عن ذلك"[5]، وبعد هذا الموقف من الإمام مالك ازدادت مكانته بين الناس رفعة وقدرا وتعظيما له، يقول القاضي عياض: "فوالله مازال مالك بعد ذلك الضرب في رفعة من الناس وإعظام، حتى كأنما كانت الأسواط حليا حلي بها"[6].

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 95.

(2)- هو: "المنصور الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، المنصور، ولد في: سنة خمس وتسعين، أو نحوها.، ضرب في الآفاق ورأى البلاد، وطلب العلم وكان فحل بني العباس هيبة، وشجاعة، ورأيا، وحزما، ودهاء، وجبروتا، وكان جماعا للمال حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه، والأدب، والعلم ، ...وعاش أربعا وستين سنة" سير أعلام النبلاء للذهبي 7/ 80،87.

(3)- الحجرات 2.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/10.

(5)- بحث الإمام مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة، وترجيحه على الحديث الذي لا يصحبه عمل، للرحالي الفاروقي، ندوة الإمام مالك بالمغرب 54.

(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض2/ 131.

وكان رأي الإمام مالك أن الأولى بخلافة المسلمين هو أصلحهم، وأخشاهم لله-تعالى-، فذهب إلى تأييد محمد النفس الزكية[1] وكان رأيه: "أن كل ما سبق له أن بايع أبا جعفر وأعطاه العهود والمواثيق، وحلف له بالطلاق يجوز له أن ينتقل إلى تأييد الحق، ولا يحاسبه الله على بيعته الأولى؛ لأنها كانت مكرهة، وكما أن طلاق المكره لا يلزم، كذلك بيعة المكره لا تلزم"[2]، يقول الطبري[3] عن هذه الحادثة: "أخبرني غير واحد أن مالكا بن أنس استفتي في الخروج مع محمد وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته"[4].

وهذا هو الواجب على الداعية أن يتخلق بخلق الشجاعة في قول الحق، ولا يخاف في ذلك لومة لائم فإن لم يكن: "الداعية المسلم شجاعا، مطيقا لأعباء رسالته سريعا إلى تلبية ندائها، جريئا على المبطلين مغوارا في ساحاتهم، فخير له أن ينسحب من هذا المجال، وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شؤونه"[5].

---

[1]- هو: "محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الهاشمي المدني، يلقب النفس الزكية، ثقة من السابعة، قتل سنة خمس وأربعين ومائة وله ثلاث وخمسون، وكان خرج على المنصور، وغلب على المدينة وتسمى بالخلافة فقتل د ت س" تقريب التهذيب لابن حجر487.

[2]- بحث الجانب السياسي في حياة الإمام مالك لعبدالرحمن الكتاني، ندوة الإمام مالك بالمغرب61.

[3]- هو: "محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآمليّ الطبريّ أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة، استوطن بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته،...وله الكتاب المشهور في "تاريخ الأمم والملوك، ..وكتاب "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه، إلا أنه لم يتمّه، وكتاب حسن في القراءات سماه "الجامع" وله في أصول الفقه،...ومولد أبي جعفر بآمل في سنة أربع وعشرين ومائتين، ووفاته ببغداد في يوم السبت، ودفن يوم الأحد بالغداة في داره لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، وقيل توفي في عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال ودفن يوم الاثنين، واجتمع في جنازته خلق لا يحصون"طبقات المفسرين للداوودي2/110،117.

[4]- تاريخ الرسل والملوك للطبري7 / 560.

[5]- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة لمحمدالغزالي 169.

# الفصل الثاني

# المرتكزات العامة

# للمنهج الدعوي

## تمهيد:

في هذا الفصل ربط الباحث علوم الشريعة بعلم الدعوة، وذكر أهم الأصول التي اعتمدها الإمام في استنباط الأحكام، والمنهجية الدعوية التي اتبعها الإمام، وقد قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: العلاقة بين علوم الشريعة والدعوة

المبحث الثاني: المنهجية الدعوية عند الإمام مالك

## المبحث الأول: العلاقة بين علوم الشريعة والدعوة

لم تكن العلوم الإسلامية في القرون الأولى مستقلة عن بعضها، ولم يخصص العلماء لها كتبا مفردة، فقد يجمع الكتاب الواحد في صفحاته مجموعة من العلوم الشرعية المختلفة، وهكذا كان علماء الأمة يحملون عدة علوم في صدورهم؛ فنجد الفقيه والمحدث واللغوي والداعية في شخصية واحدة، والإمام مالك كغيره من علماء القرون الأولى جمع بين العلوم المختلفة فهو الفقيه والمحدث واللغوي، وهذه العلوم جعلت من الإمام داعية يسلك طرقها، ويعبر عن أساليبها قبل أن توضع لهذا العلم قواعده ومناهجه المتنوعة، فهو مارس الدعوة العملية مع الناس، فالدعوة هي: "مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبلغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه"[1]، وكذلك هي: "قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال المخاطبين في كل زمان ومكان"[2]، وهذا ما طبقه الإمام في حياته العلمية التطبيقية، فهو عالم فقيه يدرك حقيقة الإسلام ومقاصده، وهذا هو الفقه العام للإسلام ولا ينحصر في المسائل الفقهية العملية فالفقه:"يشمل فهم أصل الإسلام، وموضوعها وأهدافها ومقاصدها ،وكيفية تبليغها ونشرها ،وأداء أمانتها والدفاع [3]"

---

[1]- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني8.

[2]- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبد الرحيم بن محمد المغذوي17.

[3]- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد39.

وهكذا كان علماء الأمة فإنهم جمعوا بين شرفي العلم، وتحمل نشره بين الناس ودعوتهم له، وهذا الواجب على كل داعية أو فقيه أن يكون له: "حظ وافر من الفقه والعلم ليمارس عمله الدعوي، وكذلك أن يكون لكل فقيه ممارسة دعوية يؤدي بها زكاة علمه وفقهه"[1].

وهذا المعنى العام أشار إليه بعض الصحابة الكرام، يقول علي بن أبي طالب-رضي اللّه عنه-: "ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه؟ من لم يؤيس الناس من رحمة اللّه، ولم يرخص لهم في معاصي اللّه، ألا لا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في فقه لا ورع فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها"[2]، وجمع الإمام أحمد صفات الداعية في كلمة له حيث قال: "لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه-يعني للفتوى-حتى يكون فيه خمس خصال: أما أولاها: فأن يكون له نية، فإنه إن لم تكن له نية لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور، وأما الثانية: فيكون له خلق ووقار وسكينة، وأما الثالثة: فيكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته، وأما الرابعة: فالكفاية وإلا مضغه الناس، وأما الخامسة: فمعرفة الناس"[3].

وقد كان الإمام مالك داعية فقيها محدثا مبلغا ومعلما لشرع اللّه-تعالى-، وهذا ما يسعى إليه الداعية، فالداعية هو: "المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل"[4].

---

[1]- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد24.

[2]- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي2/ 338.

[3]- إبطال الحيل لابن بطة 19، 20.

[4]- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني 40.

والعلوم الشرعية كالفقه وعلوم الحديث وغيرها من العلوم الإسلامية، إن لم تجد من يبلغها للناس وينشر المراد منها وهي: امتثال أوامر اللّه-تعالى-، وتهذيب السلوك والتحلي بالأخلاق الكريمة، وإقامة العدل بين الناس، وغيرها من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ فإنها تموت في بطون الكتب، وهذه هي وظيفة الدعاة: "إن نصوص الفقه الإسلامي المدونة في الكتب، والمحفوظة في نفوس الفقهاء وعلماء الأمة، لا يمكن تحويلها إلى أرض الواقع، وتطبيقها في حياة الأمة العملية بما يتناسب مع ظروفهم وأحوالهم إلا بالدعوة القويمة، وبدونها يظل الفقه جامدا في الكتب على التطبيق النظري القديم الملائم لأحوال الأمم الغابرة"[1]، والإمام مالك عالم خالط الناس ووقف على مختلف المسائل العملية التي يستفتونه فيها، فيفتيهم بما شرعه اللّه ويوجههم إلى الحق، وهذه هي أساس وظيفة الداعية، وهي ممارسة دعوية عملية للفقه وزيادة في علمه؛ لأن من أهم آثار ممارسة العالم للدعوة هي: "نماء فقه الفقيه الداعية بالدعوة، وذلك لأن الناس كلما طرحواعليه مشاكلهم، وطلبوا منه حكم اللّه يدلي بدلوه بما يعرف، وفيما لا يعرف يبحث ويفتش ويجتهد رأيه، ..حيث يتحول علمه من علم نظري إلى علم تطبيقي يدور في فلك الواقع"[2].

وقد كان للإمام مالك منهجية في استنباط الأحكام، وأصول واضحة في التعامل مع النصوص الشرعية، يقول القاضي عياض: "وأنت إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء الأئمة وتقررت مأخذهم في الفقه والاجتهاد في الشرع وجدت مالكا-رحمه اللّه تعالى-ناهجا في هذه الأصول منهاجا،

---

[1]- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد197.

[2]- المصدر نفسه 105.

مرتبا لها مراتبها ومدارجها مقدما كتاب اللّه ومرتبا له على الآثار، ثم مقدما على القياس والاعتبار، تاركا منها لما لم يتحمله عنده الثقات العارفون بما تحملوه، أو ما وجد الجمهور الجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه"[1].

وقد نقل عن الإمام مالك بعض الأقوال المأثورة عنه في المدونة وغيرها من كتب المذهب المالكي، ينص فيها على بعض أصوله حيث: "نص على كثير من أصول منهجيته في كتابه الموطأ وغيره من الأمهات، وفي رسالته إلى الليث[2] وفي مناظراته ونصائحه لتلامذته"[3].

ومن الآثار التي نص فيها الإمام على بعض أصوله، ما ذكره في بيان الأصول التي يحكم بها القاضي حيث قال: "وليحكم بما في كتاب اللّه، فإن لم يكن فيه فبما جاء عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-إذا صحبته الأعمال، فإذا كان خبرا صحبت غيره الأعمال، قضي بما صحبته الأعمال"[4]، ويقول أيضا: "والعمل أثبت من الأحاديث"[5]، فقد نص الإمام مالك على أن الأصول التي يجب الاعتماد عليها في استنباط الأحكام هي: القرآن الكريم، والعمل المدني، والسنة النبوية.

وقد سئل الإمام عن بعض مصطلحاته وآرائه الأصولية الواقعة في كتابه الموطأ فبين للسائل المراد منها، فقد روي أنه قيل له: "ما قولك في الكتاب الأمر المجتمع عليه عندنا؟ وببلدنا؟ وأدركت أهل العلم؟ وسمعت بعض أهل العلم؟، فقال: أما أكثر ما في الكتاب فرأي، فلعمري ما

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/89.

(2)- هو: "الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه، إمام مشهور من السابعة، مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ع" تقريب التهذيب لابن حجر 464.

(3)- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها الفقه المالكي لحاتم باي 29.

(4)- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني15/8.

(5) - الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني117.

هو رأيي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله؛ فكثر علي فقلت رأيي، وذلك إذا كان رأيهم مثل رأي الصحابة أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك، فهذا وراثة توارثوها قرنا عن قرن إلى زماننا، وما كان أرى فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة، وما كان فيه الأمر المجتمع عليه: فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه، وما قلت الأمر عندنا: فهو ما عمل الناس به عندنا وجرت به الأحكام وعرفه الجاهل والعالم"[1].

وقد اختلف علماء المذهب في طرق معرفة أصول الإمام مالك وسلكوا طريقتين في بيان أصول الإمام مالك مجملة و مفصلة فقد: "اختلفت وجهات نظر المالكية حول طريقة عد كل من الكتاب والسنة ضمن الأدلة التي بنى عليها مالك مذهبه، وكانت لهم في ذلك طريقتان؛ الطريقة الأولى: إجمالية، وذلك باعتبار القرآن الكريم دليلا واحدا والسنة النبوية دليلا واحدا كذلك، الطريقة الثانية تفصيلية: وذلك باعتبار الكتاب خمسة أدلة وهي نص القرآن، وظاهره وهو العموم، ودليله وهو مفهوم المخالفة، ومفهومه وهو مفهوم الأولى، وتنبيهه وهو التنبيه على العلة، ومن السنة مثل ذلك، وقد حظيت كل واحدة من الطريقتين بجماعة من علماء المذهب"[2].

ولاختلاف علماء المذهب في طريقة حصر أصول الإمام مالك اختلفوا في عدد أصوله، فقد نص ابن العربي على أن أصول الإمام مالك خمسة حيث يقول: "وأصول الأحكام خمسة : منها أربعة متفق عليها من الأمة، الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، والاستباط، والاجتهاد، فهذه هي

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 74/2.

[2]- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها الفقه المالكي22، 23.

الأربعة، والمصلحة وهو الأصل الخامس الذي انفرد به مالك دونهم، ولقد وفق فيه من بينهم"[1].

وقد جمع المشاط أصول الإمام مالك فأوصلها إلى سبعة عشر أصلا فقال: "اعلم وفقني الله-تعالى-وإياك أن الأدلة التي بنى عليها إمامنا مذهبه سبعة عشر: نص الكتاب، وظاهره أعني العموم، ودليله أعني مفهوم المخالفة، ومفهومه أعني المفهوم بالأولى، والتنبيه على العلة، ومن السنة مثل هذه الخمس، والحادي عشر الإجماع، والثاني عشر:القياس، والثالث عشر: عمل أهل المدينة، والرابع عشر:قول الصحابي، والخامس عشر:الاستحسان، والسادس عشر:الحكم بسد الذرائع، وأما مراعاة الخلاف فتارة وتارة"[2].

وقد قسم علماء الأصول[3] أدلة الإمام مالك إلى أدلة نقلية واجتهادية فالنقلية هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، وشرع من قبلنا، وقول الصحابي.

أما الاجتهادية فهي: القياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، وسد الذرائع، ومراعاة الخلاف، والاستصحاب، والعرف.

---

(1)- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي436/5.

(2)- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة لحسن بن محمد المشاط115.

(3)- للاطلاع أكثر على أصول الإمام مالك ينظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض89/1، والمسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي436/5، والجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة لحسن بن محمد المشاط 115،116، و الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها الفقه المالكي37.

## المبحث الثاني: المنهجية الدعوية عند الإمام

الدعوة إلى الله-تعالى-تعد جزءا عمليا للفقه الإسلامي وغيرها من العلوم الشرعية، والإمام مالك أحد الفقهاء المجمع على إمامته، وقد كان للإمام منهج دعوي سلكله في مجتمعه، وهذا الواجب على كل داعية أن يكون لدعوته منهج يسير عليه فإن: "الدعوة ليس منهجا جامدا أو ميتا، بل هو منهج حي يقوم على التفاعل والتأثير، وذلك لأنه منهج مقصود به الصلاح والإصلاح، والنفع والخير للناس أجمعين"[1].

وقدكان للإمام منهج دعوي شامل سلكه بين الناس فكان له الأثر الواضح على المجتمع المدني، وقدحاول الباحث أن يربط بين أصول علم الدعوة ووسائلها، وبين ما اطلع عليه من ترجمة الإمام مالك، وما أثر عنه من الأقوال المنقولة عنه، وما دونه في كتبه، وقد ظهر للباحث أن أبرز هذه المعالم والخصائص المنهجية الدعوية للإمام تتمثل في عدة نقاط؛ وضعها الباحث في مطالب جاءت على النحو الآتي:

---

[1]- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبدالرحيم محمد المغذوي120.

## المطلب الأول: منهجية الإمام في التمسك بالكتاب والسنة .

من أهم الصفات المنهجية التي يمتاز بها الداعية هو تمسكه بالقرآن الكريو والسنة النبوية، وجعلهما مصدره الرئيسي للرجوع إليهما، وقد نصت كتب الدعوة الإسلامية إلى أن أهم مصدر الدعوة عند الداعية هو القرآن والسنة، فالواجب على الداعية: "أن يعلم أن القرآن والسنة هما دستورا الدعوة فيهما سعادة الأمة إن تمسكت بهما، والشقاء كل الشقاء لها إن أعرضت عنهما قال تعالى: ﴿وَمَن أعرَضَ عَن ذِكري فإنَّ لَهُ مَعِيشَة ضَنكا﴾[1]"[2].

وعلى هذا المنهج سار الإمام مالك، وسلك طريقه إلى الدعوة إلى اللّه-تعالى-، فكان القرآن الكريم والسنة النبوية منهجه في الدعوة إلى اللّه-تعالى-، وكان مدار استنباطه للأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن شدة اعتماده على الأصلين الكتاب والسنة كان-رحمه اللّه-يتشدد في باب العبادة، ولا يخرج من حد نصوص الشريعة، وقد نص الشاطبي على أن منهج الإمام مالك وقوفه على نص الشارع في العبادات، وعدم الالتفات للمعاني يقول-رحمه اللّه-: "التزم مالك في العبادات عدم الالتفات إلى المعاني، وإن ظهرت لبادئ الرأي، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه"[3]، ويقول أيضا: "ولذلك تجد مالكا، وهو المسترسل في القول بالمصالح

---

[1]- طـه 122.

[2]- أساليب الدعوة والإرشاد لمحمد أمين حسن 110.

[3]- الاعتصام للشاطبي 2/ 631.

المرسلة، مشددا في العبادات أن لا تقع إلا على ما كانت عليه في الأولين"[1].

وقد نص الإمام مالك على هذا المنهج الذي سلكه في حياته العلمية الدعوية، فقد روى ابن وهب عن الإمام مالك أنه قال: "الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: ما في كتاب اللّه، أو أحكمته السنة، فذلك الحكم الواجب الصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم برأيه فلعله يوفق"[2]، وثبت عنه قوله: "وليحكم بما في كتاب اللّه، فإن لم يكن فيه فبما جاء عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-"[3].

وقد سار الإمام مالك على هذا المنهج منذ بداية طلبه للعلم، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم، وذكره الإمام الداني[4] في طبقات القراء، فقد قال عنه: "أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم[5]"[6]، وهذه المنزلة لا يبلغها إلا من لازم حفظ القرآن وأخذه عن علماء القراءات، يقول محمد أبو زهرة: "حفظ الإمام مالك القرآن الكريم في صدر حياته كما هو الشأن في أكثر الأسر الإسلامية التي يتربى أبناؤها تربية دينية لا سيما من يهيأ لطلب العلم الشرعي ويؤهل للإمامة في الدين، وحفظ القرآن في الصغر يعد خطوة بالغة الأهمية في مسيرة طالب العلم

---

[1]- الموافقات للشاطبي 285/3.

[2]- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر1/757.

[3]- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني 15/8.

[4]- هو: "عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني، الأموي، مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ ،أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة..... توفي الحافظ أبو عمرو بدانية يوم الاثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة" غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري1/505.

[5]- هو: "نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ويقال: أبو نعيم..، الليثي، مولاهم ..، أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، أصله من أصبهان وكان أسود اللون حالكا صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة، أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي أهل المدينة.....مات سنة تسع وستين ومائة، وقيل: سبعين وقيل: سبع وستين وقيل: خمسين وقيل: سبع وخمسين، رحمه الله" غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري2/330،334.

[6]- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري2/36.

الشرعي؛ لأن القرآن الكريم قاعدة ومصدر كل العلوم الشرعية، فحفظه يسهل على الطالب استيعاب الفن المدروس، وربط المسائل بأدلتها، ومن ثم استحضار جزئيات المسألة وفروعها"[1].

وقدكان الإمام مالك كثير التلاوة للقرآن الكريم، فقد وصفت أخته حاله مع القرآن فقالت عنه: "كان شغل مالك في بيته المصحف والتلاوة"[2]، وكان الإمام يستحضر آيات القرآن الكريم في شؤون حياته كلها، فقد روي أن الإمام كان: "إذا دخل بيته قال: ما شاء اللّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه، فسئل عن ذلك فقال: قال اللّه تعالى: ﴿وَلَولَا إذ دَخَلت جَنَّتَكَ قلتَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[3]وجنته بيته، وقيل: إن ذلك كان على باب مالك مكتوب ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل"[4]، وقد جعل الإمام لكل ليلة من أيامه وردا من القرآن لا يفتر عن قراءته، فقدروي أن الإمام كان: "يصلي كل ليلة حزبه، فإذا كانت ليلة الجمعة؛ أحياها كلها"[5].

وكان هذا دأبه-رحمه اللّه-في المحافظة على ورده من القرآن الكريم في الليل، فقد ورد عن أحد طلابه أنه قال: "خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة، فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلي، فلما فرغ من﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ﴾ [6] ابتدأ بـــ﴿أَلهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [7] حتى بلغ﴿ثمَّ

---

(1)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة24.

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض178/1.

(3)- الكهف 39.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 130/1

(5)- المصدر نفسه187/1 .

(6)- الفاتحة1.

(7)- التكاثر 1.

لتسئلن يَومَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] فبكى بكاء طويلا، وجعل يرددها ويبكي، وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل قائما، وهو يرددها ويبكي، حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلي، فتوضأت ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن"[2].

وعند الاطلاع على مؤلفات الإمام وما نقله عنه تلاميذه من الأقوال يتجلى تعلق الإمام بالقرآن الكريم، فقد وضع الإمام في كتابه الموطإ عنوانا جاء فيه: "باب فضل القرآن وما يستحب من ذكر اللّه-عزو جل-"[3]، وتناول عددا من المحاور القرآنية، وقد كان الإمام كثيرا ما يستدل بالآيات القرآنية لتقرير الأحكام الفقهية في كتابه الموطإ، أو ما نقل عنه في المدونة وغيرها من الكتب المعتمدة في المذهب.

فقد ثبت عنه أنه قال: "الأمر عندنا الذي لا اختلاف فيه، أن الحر إذا أفلس لا يؤاجر، لقول اللّه-تبارك وتعالى-:﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ ميسرة﴾[4]"[5]، وقال أيضا: "لا أرى للمسلم أن يستتجر عبده النصراني، ولا يأمر ببيع شيء لقول اللّه-تعالى-:﴿وَأَخذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَد نُهُواْ﴾[6]"[7].

وقال في موضع آخر: "فأرى أن يقتل إن رأى ذلك الإمام إذا أخذ المال ولم يقتل أن يقتله قتله؛ لأن اللّه يقول في كتابه: ﴿مَن قَتَلَ نَفسَا بِغَيرِ

---

(1)- التكاثر 8.

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 187.

(3)- الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني بتحقق عبدالوهاب عبداللطيف73.

(4)- البقرة 280.

(5)- المدونة 9 /94 .

(6)- النساء 161.

(7)- المدونة 9/167.

نفسٍ أو فسَاد فِي ٱلأرض فكَأَنَّمَا قتلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعا﴾[1]، فأخذ المال من الفساد في الأرض، وإنما يجتهد الإمام في الذي يخيف ولا يقتل ولا يأخذ مالا ويؤخذ بحضرة ذلك قبل أن يطول زمانه"[2].

وقد سلك الإمام هذا المنهج في الموطإ فقدأكثر فيه من الاستدلال بالقرآن الكريم، ففي الموطإ يفسر آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه، و أورد ذلك في عدة مواضع منها ما ذكره تحت باب: ما جاء في السعي إلى الجمعة قال الإمام: "وإنما السعي في كتاب اللّه العمل والفعل، يقول اللّه-تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا تولَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلأرض﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسعَىٰ﴾[4]، وقال: ﴿ثمَّ أدبَرَ يَسعىٰ﴾[5]، وقال: ﴿إِنَّ سَعيَكُم لَشَتَّىٰ﴾[6]، قال مالك: "فليس السعي الذي ذكر اللّه في كتابه بالسعي على الأقدام ولا الاشتداد، وإنما عنى العمل والفعل"[7].

وقال الإمام في باب الوقوف بعرفة والمزدلفة: "قال اللّه-تبارك وتعالى-: ﴿فلَا رَفثَ وَلَا فسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلحَجِّ﴾[8]، قال: فالرفث إصابة النساء-واللّه أعلم-قال اللّه-تبارك وتعالى-: ﴿أحِلَّ لَكُم لَيلَة ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفثُ إِلَىٰ نِسَائِكُم﴾[9]، قال: والفسوق الذبح للأنصاب-واللّه أعلم-قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿أو فِسقًا أهِلَّ لِغَير ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[1]، قال: والجدال في الحج أن قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام..، وكانت العرب وغيرهم

---

[1]- المائدة 32.
[2]- المدونة11 /167.
[3]- البقرة 205.
[4]- عبس 9.
[5]- النازعات22.
[6]- الليل 4.
[7]- الموطـأ، كتاب الجمعة، باب ما جاء فيمن رعف يوم الجمعة.
[8]- البقرة 197.
[9]- البقرة 187.

يقفون بعرفة، فكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول هؤلاء: نحن أصوب، فقال اللّه-تعالى-: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]"[3].

وقال الإمام في باب ما يكره من أكل الدواب: "إن أحسن ما سمع في الخيل والبغال والحمير، أنها لا تؤكل؛ لأن اللّه-تبارك وتعالى-قال: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[4]، وقال تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[5] ، وقال تبارك وتعالى ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[6]، ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾[7]"[8]، وذكر محمد بن الحسن الشيباني[9] في روايته للموطأ روايات الإمام في التفسير، وجعل لها بابا في آخر الموطإ سماه: "كتاب التفسير"[10].

وقدجعل السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع، ويظهر ذلك في كتابه الموطأ، فقد بنى الإمام مذهبه على الروايات المرفوعة إلى النبي-صلى اللّه عليه وسلم-، والمأثور عن الصحابة وأقوال التابعين وأتباعهم، وكان-رحمه اللّه-كثيرا ما يتمثل بقول عمر بن عبدالعزيز:

---

(1)- الأنعام 145.

(2)- الحج 67.

(3)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان1/ 432.

(4)- النحل 8.

(5)- غافر 79.

(6)- الحج 34.

(7)- الحج36.

(8)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 793.

(9)- هو: "محمد بن الحسن بن فرقد بن أبو عبد اللّه الشيباني الإمام صاحب الإمام،... أصله من دمشق من قرية حرسته، وصحب أبا حنيفة، وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف، وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك، ولى القضاء للرشيد بالرقة، فأقام بها مدة ثم عزل عنها، ثم سار معه إلى الري وولاه القضاء بها فتوفي بها سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة" الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحمد بن محمد بن أبي وفاء 2/ 42،44،

(10)- الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني 344.

"سن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-وولاة الأمر من بعده سننا، والأخذ بها اتباع لكتاب اللّه-تعالى-، واستكمال لطاعة اللّه وقوة على دين اللّه، وليس لأحد بعد هؤلاء تجديدها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه اللّه ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا، وكان إذا حدث بها ارتج سرورا"[1].

فكان منهج الإمام في الموطإ يصدر الباب بالحديث المرفوع إلى النبي-صلى اللّه عليه وسلم-ثم يردفه بالمأثورات عن الصحابة والتابعين لبيان المرفوع، مثال ذلك ما ذكره في باب جامع الوقوت فقد صدره بالمرفوع جاء في الموطأ: "عن مالك عن نافع، عن عبد اللّه بن عمر أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-قال: "الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله" [2]، ثم أردف المرفوع بالموقوف عن الصحابة فروى: "أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر فلقي رجلا لم يشهد العصر فقال عمر: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له الرجل عذرا، فقال عمر: طفقت، قال مالك:ويقال:لكل شيء وفاء وتطفيف"[3]، وغيرها كثير من الأبواب التي تبين أن منهج الإمام تقديم الأحاديث المرفوعة، ثم المأثورات عن الصحابة والتابعين.

ومن شدة حرص الإمام مالك على التمسك بالكتاب والسنة أنه كان حريصا على التقيد بما ورد في الكتاب والسنة من ألفاظ مخصوصة، فقد روي عنه لما سئل عن ألفاظ الدعاء فقال: "أحب إلي بما

---

[1]- الديباج المذهب لابن فرحون116/1.

[2]- كتاب وقوت الصلاة، باب جامع الوقوت.

[3]- الموطأ، كتاب وقوت الصلاة، باب جامع الوقوت.

في القرآن ولما دعت به الأنبياء يارب! وكره الدعاء بيا حنان!"[1]، وقد علق ابن رشد على قول الإمام مالك فقال: "إنما كره الدعاء بذلك للاختلاف الحاصل بين أهل السنة من أئمة المتكلمين في جواز تسمية اللّه-تعالى-بسيد وحنان وما أشبه ذلك من الأسماء التي فيها مدح وتعظيم للّه-تعالى-، ولم تأت في القرآن ولا في السنن المتواترة عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-"[2]، وقد كان الإمام يحرص على ألفاظ ما روي عن النبي-صلى اللّه عليه وسلم-من الأحاديث، فقد قال تلميذه معن بن عيسى: "كان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول اللّه الباء والتاء ونحوهما[3]، وهذا الالتزام يعد من الإمام دلالة على التقيد بالكتاب والسنة النبوية.

---

[1]- البيان والتحصيل لابن رشد 1/ 456.

[2]- المصدر نفسه1/ 456.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 29.

## المطلب الثاني: منهجية الإمام في مراعاة حال المدعوين.

من معالم المنهج الدعوي عند الإمام مالك مراعاته لأحوال المدعوين مع اختلاف طبقاتهم؛ وذلك من باب رفع المشقة عنهم فقد: "كان مالك-رضي الله عنه-يسير في استنباطه الفقهي على أساس معالجة شؤون الجماعة بما يكون فيه خيرها وصلاحها، وأن تكون أمورها ميسرة لا عنت فيها ولا ضيق ولا حرج ولا مشقة"[1].

وقد دلت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة على رفع المشقة على المكلفين، وقدنص كثير من العلماء على أنها قاعدة من القواعد الفقهية الكلية في الشريعة الإسلامية، جاء في موسوعة القواعد الفقهية: "المشقة تجلب التيسير: هذه القاعدة إحدى القواعد الكليّة الكبرى، وهي القاعدة التي تختصّ ببيان رخص الشرع وتخفيفاته بناء على الأعذار الموجبة لذلك، فإنّ الأحكام التي ينشأ على تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله، فالشّريعة تخففها بما يقع تحت قدرة المكلف واستطاعته دون عسر أو إحراج"[2]، والأدلة التي التي تقرر هذه القاعدة كثيرة يقول الشاطبي: "إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع"[3]، من هذه الأدلة الواردة في تقرير هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱليُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلعُسرَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِي ٱلدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾[5]، أما من السنة النبوية فالأحاديث التي دلت على هذه القاعدة كثيرة مستفيضة منها

---

(1)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 428.

(2)- 10 / 632.

(3)- الموافقات للشاطبي 1/ 520.

(4)- البقرة 184.

(5)- الحج 76.

قوله-صلى اللّه عليه وسلم-: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا، وقاربوا وأبشروا"[1]، وروى عنه-صلى اللّه عليه وسلم-من حديث أبي هريرة: "وإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[2].

وقد جاءت أصول مذهبه مبنية على هذا الأصل، فمن الأصول التي يظهر فيها التيسير على المكلفين مسألة هل الأمر يقتضي المرة أو التكرار، وقداختلف علماء المالكية في أي المذهبين ينسب إلى الإمام مالك؛ لأنه لم يرد نص عن الإمام يبين رأيه، وإنما استنبطه أهل المذهب من دلالة الترجيح بما ورد عن الإمام من مسائل فرعية، يقول المازري[3]: "وقد اختلف من تكلم من أصحابنا على هذه المسألة، مامقتضى مذهب مالك"[4]، إلا أن الراجح من مذهب الإمام أن الأمر لا يقتضي التكرار بدلالة قول الإمام بعدم وجوب تكرار غسل أعضاء الوضوء يقول المازري: "فذهب بعضهم إلى أن مقتضى مذهبه حمل الأمر على مرة واحدة، واستقرأوا ذلك من لفظ وقع في أول كتاب الوضوء من المدونة، لما سئل ابن القاسم عن التوقيت في الوضوء فأجاب بما أجاب، واستدل على نفي التكرار بمجرد قوله ﴿وُجُوهَكُم﴾[5]، فلولا أن مذهبه حمل الأمر المطلق على مرة واحدة لم يحسن الاستدلال بهذه الآية، على أن الواجب في الوضوء غسلة واحدة مستوعبة للعضو"[6]، وهذا الرأي الراجح عن الإمام

---

(1)- أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر .

(2)- أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.

(3)- هو: "أبو عبد اللّه محمّد بن علي بن عمر التميمي المازري، المعروف بالإمام خاتمة العلماء، والأئمة الأعلام المجتهدين الحافظ النظار، كان واسع الباع في العلم والاطلاع مع ذهن ثاقب، ورسوخ تام بلغ درجة الاجتهاد، وبلغ من العمر نيفا وثمانين سنة ولم يفتِ بغير مشهور مذهب مالك...، له تآليف تدل على فضله وتبحره في العلوم منها شرح التلقين ليس للمالكية مثله... والمعلم في شرح صحيح مسلم،...مات في ربيع الأول سنة 536 هـ بالمهدية ودفن بالمنستير"شجرة النورالزكية لمحمد بن محمد مخلوف1/186،187.

(4)- إيضاح المحصول للمازري205 .

(5)- المائدة 6.

(6)- إيضاح المحصول للمازري 205.

يتماشى مع مذهب التيسير ورفع المشقة عن المكلفين: "الذي يترجح لي في مذهب مالك-رحمه الله-أن الأمر المطلق محمول على المرة، ولا يفيد التكرار إلا بدليل يقتضيه، وأمتن ما يستدل به على هذا الترجيح: استدلال ابن القاسم العتقي على مذهب مالك في نفي التكرار في الوضوء بقول الله-تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[1]"[2]

وهذا ما طبقه الإمام في أحكامه وفتاويه المنقولة عنه، حيث كان منهجه مراعاة أحوال المدعوين وربط فتاويه لهم بأصول الشريعة الإسلامية، لاسيما التيسير عن المكلفين ورفع الحرج عنهم، فقد روي عنه أنه قال: "وإذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر"[3]، وقد كان التيسير شعار الإمام في أحكامه المختلفة التي يسأل عنها: "كانت المرونة في التطبيق التي كانت تنتهي إلى تلبية الحاجات، وتيسير المسائل لجمهرة الناس في مختلف شؤونهم، ما كان متصلا منها بأسباب الحياة"[4]، وكان الإمام يكثر من قوله: دين الله يسر، قال ابن القاسم: "سأل شيخ مالكا وأنا عنده عن الذي يكون بركبتيه مايمنعه من السجود والجلوس عليهما في الصلاة؟ فقال: له افعل من ذلك ما استطعت وما يسر عليك، فإن دين الله يسر"[5]، ونقل عنه ابن القاسم أنه قال عندما سئل عن استعمال

---

[1]- المائدة 6.

[2]- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس لحاتم باي142.

[3]- الموطأ، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الإحداد.

[4]- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة 2/ 128.

[5]- المدونة 1 / 221.

الكحـل للمعتدة: "لا تكتحل الحاد إلا أن تضطر إلى ذلك، فإن اضطرت فلا بأس بذلك، وإن كان فيه طيب، ودين اللّه يسر"[1].

وقد ذكـــر الإمام هذه القاعدة العظيمة والمنهج القويم في كتابه الموطإ حيث يقول فيه: "الأمر الذي سمعت من أهل العلم: أن المريض إذا أصابه المرض الذي يشق عليه الصيام معه، ويتعبه ويبلغ ذلك منه، فإن له أن يفطر، وكذلك المريض الذي اشتد عليه القيام في الصلاة وبلغ منه، وما اللّه أعلم بعذر ذلك من العبد، ومن ذلك ما لا تبلغ صفته، فإذا بلغ ذلك صلى وهو جالس ودين اللّه يسر"[2].

وسيذكر الباحث عدة مسائل من أبواب مختلفة سئل عنها الإمام مالك، فكانت أحكامه فيها مراعاة لأحوال المكلفين وفق منهج التيسير ورفع الحرج والمشقة عنهم.

من هذه المسائل مسألة أرواث الدواب في الطرقات إذا أصابت جسدالمصلي وثوبه، فقد روى ابن القاسم أنه قال: "وقال مالك: لا بأس بطين المطير، وماء المطر المستنقع في السكك والطرق، وما أصاب من ثوب، أو خف، أو نعل، أو جسد فلا بأس بذلك، قال: فقلنا لمالك: إنه يكون فيها أرواث الدواب وأبواها والعذرة، قال: لابأس وما زالت الطرق وهذا فيها، وكانوا يخوضون المطر وطينه، ويصلون ولا يغسلون"[3].

فقد حكم الإمام مالك بطهارة ما أصابه روث الدواب من ثوب أو جسد المصلي؛ وفي ذلك مراعاة لأحوال المدعوين، لأنهم لابد لهم من

---

[1]- المدونة 4 / 323.

[2]- الموطأ، كتاب الصيام، باب ما يفعل المريض في صيامه.

[3]- المدونة 108/1.

تعرضهم لهذه الأمور في طرقه يقول الونشريسي[1]: "وإنما يعفى عما يصيب الخف، والنعل من أرواث الدواب وأبوالها، ولا يعفى عما يصيبهما من غيرهما كالدم والعذرة؛ لأن الطرقات لا تسلم-في الأغلب-من أرواث الدواب وأبوالها، فخفف ذلك للضرورة، والدم والعذرة لا يصيبان الطرقات إلا نادرًا؛ إذ ليس شأن الناس أن يطرحوا ذلك فيها، وأيضًا نجاسة الدم والعذرة متفق عليها، وأرواث الدواب وأبوالها مختلف فيها فكانت أخف"[2].

ومن المسائل التي تبين مراعاة الإمام حال المدعوين مسألة الدم اليسير يراه المصلي في ثوبه، حيث لم يره الإمام شيئا، فقد سئل عن الرجل يصلي وفي ثوبه دم يسير من دم حيضة أو غيره فقال: "يمضي على صلاته ولا يبالي ألا ينزعه، ولو نزعه لم أر به بأسا"[3].

وجاء في المدونة أن تلميذه ابن القاسم سأله عن كيفية صلاة العاجز عن أداء بعض فرائض الصلاة، فبين الإمام أنه يصلى بالكيفية التي يستطيع أن يصلي بها، وبالصورة التي لا تشق عليه، يقول ابن القاسم: "سألت مالكا عن الرجل يقدر على القيام، ولايقدر على الركوع والسجود كيف يصلي؟ قال: يومئ برأسه قائما للركوع على قدر طاقته، ويمد يديه إلى ركبتيه فإن كان يقدر على السجود سجد، وإن لم يكن يقدر على السجود ويقدر على الجلوس أومأ للسجود جالسا، ويتشهد ويسلم جالسا في وسط صلاته، وفي آخر صلاته إن كان يقدر على الجلوس، فإن كان لا

---

[1]- هو: "أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي، مفتيها الإمام العالم العلامة، العمدة المحصل، الفهّامة المحقق، المطلع حامل لواء المذهب.... ألف المعيار في اثني عشر مجلدا جمع فأوعى وأتى على كثير من فتاوى المتقدمين والمتأخرين.. توفي في صفر سنة 914 هـ"شجرة النور الزكية لمحمدبن محمد مخلوف1/397.

[2]- عدة البروق للونشريسي85،86 .

[3]- المدونة 1/108.

يقدر إلا على القيام صلى صلاته كلها قائما، يومئ للركوع والسجود قائما، ويجعل إيماءه للسجود أخفض من إيمائه لركوعه"[1].

فبين الإمام أن الكيفية التي يستطيعها المكلف أن يؤدي بها الصلاة هي الواجبة عليه على الحال التي يستطيعها، فمن يشق عليه القيام صلى قاعدا، وإن لم يستطع فينتقل إلى الصلاة مضطجعا، فإن شق عليه الاضطجاع صلى على جنب، وإن لم يستطع صلى بالإيماء، ووضع الإمام ضابطا في ذلك فقال لما سئل عن الاعتماد في الصلاة قال : ذلك على قدر ما يرتفق به، فلينظر ما هو أرفق به فليصنعه"[2]، وقد أكد الإمام على هذا المنهج الدعوي في كل مسألة قد تلحق المشقة بالمكلف، فقد قال في كيفية صلاة المريض: "يصلي على قدر ما يستطيع من قعوده"[3].

ومن المسائل التي نظر الإمام إلى حال المدعوين مسألة الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في المسجد، يقول الإمام: "يجمع بين المغرب والعشاء في الحضر وإن لم يكن مطر إذا كان طين وظلمة، ويجمع أيضا بينهما إذا كان المطر، وإذا أرادوا أن يجمعوا بينهما في الحضر إذا كان مطر أو طين أو ظلمة، يؤخرون المغرب شيئا، ثم يصلونها ثم يصلون العشاء الآخرة قبل مغيب الشفق،..قال: وإنما أريد بذلك الرفق بالناس ولولا ذلك لم يجمع بهم"[4]، فقد نص الإمام على هذا منهج التيسير في قوله: "وإنما أريد بذلك الرفق بالناس، ولولا ذلك لم يجمع بهم" وهو أن الجمع

---

[1]- المدونة 1/ 222.

[2]- المصدر نفسه 1/ 217.

[3]- المصدر نفسه1/ 221.

[4]- المصدر نفسه 1/ 300.

بين صلاتي المغرب والعشاء في المسجد جماعة جاز في هذه الحالات رفقا بالمكلفين ومراعاة لحالهم عند خروجهم إلى المسجد في هذ الأجواء.

ومن مراعاة حال المكلفين عند الإمام مراعاته لأحوال المريض، فقد حكم بالتخفيف عنه في الجمع بين كل صلاتين مشتركتي الوقت، فقد جاء في المدونة: "وقال مالك في المريض إذا كان أرفق به أن يجمع بين الصلوات جمع بين الظهر والعصر في وسط وقت الظهر إلا أن يخاف أن يغلب على عقله فيجمع قبل ذلك بعد الزوال، ويجمع بين المغرب والعشاء عند غيبوبة الشفق إلا أن يخاف أن يغلب على عقله فيجمع قبل ذلك عندما تغيب الشمس، وإنما ذلك لصاحب البطن أو ما أشبهه من المرض أو صاحب العلة الشديدة التي تضر به أن يصلي في وقت كل صلاة، ويكون هذا أرفق به أن يجمعهما لشدة ذلك عليه"[1].

وقد علق الباجي[2]على جواز ذلك للمشقة التي تلحق المريض فقال: "والدليل على ذلك أن المشقة التي تلحقه بما ذكر أشد من المشقة التي تلحق المسافر عند النزول والركوب فإذاجاز للمسافر الجمع بينهما لمشقة السفر فبأن يجوز ذلك لمشقة المرض أولى"[3].

وقد استحب الإمام مالك للأم المرضع أن تتخذ ثوبا غير ثوبها الذي ترضع فيه؛ خشية أن يصيبها شيء من طفلها، إذا كانت قادرة على ذلك، فإن لم تستطع على اتخاذ ثوب آخر فلا حرج عليها أن تصلي بالثوب الذي ترضع فيه وفي ذلك مراعاة لحالها يقول الإمام: "وأما الأم فأحب إلي

---

[1]- المدونة 302/1.

[2]- هو: "القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي: الفقيه الحافظ، النظار العالم، المتفنن المؤلف، المتقن المتفق على جلالته علما وفضلا ودينا،.... مولده سنة 403 هـ وتوفي سنة 474 هـ" شجرة النور الزكية لمحمدبن محمد مخلوف178/1.

[3]- المنتقى في شرح الموطأ للباجي 254/1.

أن يكون لها ثوب سوى ثوبها الذي ترضع فيه إذ كانت تقدر على ذلك، وإن لم تكن تقدر على ذلك فلتصل في ثوبها ولتدرأ البول عن نفسها جهدها، ولتغسل ما أصاب من البول ثوبها جهدها"[1].

ومن المسائل التي راعى فيها الإمام حالة المدعوين مسألة مس لوح القرآن للمعلم والصبيان فقد سئل الإمام مالك عن اللوح فيه القرآن أيمس على غير وضوء؟ فقال: "أما الصبيان الذين يتعلمون فلا أرى بذلك بأسا، فقيل له: فالرجل يتعلم فيه؟ قال: أرجو أن يكون خفيفا"[2]، قال ابن رشد معلقا على هذه المسألة: "فمن أجل ذلك خفف للذي يتعلم القرآن أو يشكل ألواح الصبيان أن يمس اللوح فيه القرآن على غير وضوء لما يلحقه من المشقة في أن يتوضأ كلما أحدث"[3].

ومن المسائل أيضا مسألة جواز إبدال الدراهم الناقصة بالوزن وذلك للرفق بالناس ورفع الحرج عنهم، فقد جاء في العتبية: "وسئل مالك عن الدراهم النقص يبتاع الناس بها في أسواقهم أترى أن تغير؟ فقال: بل أرى أن تترك، وأرى في ذلك رفقا للناس، وحتى إن الرجل ليأتي بالدرهم الوازن فما يعطي به إلا شبه ما يعطي بالناقص، والمرأة تأتي بغزلها وما أشبهه فأرى أن يتركوا ولا يمنعوا وهو مرفق بالناس"[4]، فقد رأى أن حالة المدعوين تستدعي رفع الحرج عنهم، وأشار ابن رشد إلى هذا المعنى رفع فقال: "رأى تغيير الدراهم الناقصة، ومنع الناس من التجارة بها تضييقا

---

(1)- المدونة 1/ 116.

(2)- البيان والتحصيل لابن رشد 1 /43.

(3)- المصدر نفسه 43/1.

(4)- المصدر نفسه 9 /328.

على الناس؛ لأنهم يتسامحون فيها، فإن قطعت بارت على الناس، فلم ينتفعوا بها، ولا سومحوا فيها"[1].

ومن المسائل التي راعى فيها الإمام حال المدعوين مسألة اختلاط الأصناف الربوية عند عصرها، يقول ابن القاسم: "وسألت مالكا عن معاصر الزيت زيت الجلجلان والفجل، يأتي هذا بأرادب، وهذا بأخرى حتى يجتمعون فيها فيعصرون جميعا، قال: إنما يكره هذا لأن بعضه يخرج أكثر من بعض، فإذا احتاج الناس إلى ذلك فأرجو أن يكون خفيفا لأن الناس لا بد لهم مما يصلحهم والشيء الذي لا يجدون عنه غنى ولا بد، فأرجو أن يكون لهم في ذلك سعة إن شاء الله ولا أرى به بأسا والزيتون مثل ذلك "[2].

كل هذه المسائل الواردة عن الإمام مالك يستنتج منها أن الإمام كان يراعي أحوال المكلفين المختلفة وهذا المنهج من أهم السمات المنهجية التي سار عليها الإمام في حياته الدعوية، فالواجب على الداعية أن يتخذ من الإمام قدوة له ويراعي حال المدعوين لتكون لدعوته الأثر عليهم.

---

[1]- البيان والتحصيل لابن رشد 9/ 329.

[2]- المصدر نفسه 16/12.

## المطلب الثالث: منهجية الإمام في معرفة واقع المدعوين ومخاطبتهم.

لابد للداعية أن يكون على علم بما يقع في مجتمعه من أحداث ووقائع متنوعة، ليبين لهم حكم الشرع فيما يقع لهم؛ ويكون له الأثر الكبير بينهم، فمعرفة واقع المدعوين من أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته فمن: "أساسيات النجاح في تبليغ الدعوة على وجهها الصحيح معرفة المدعوين والإحاطة بالواقع النفسي والفكري والاجتماعي لهم؛ لأن ذلك ييسر عملية الدعوة، ويمكِّن القائمين على شؤونها من وضع الخطط الملائمة للمدعوين، ومراعاة ما هم عليه من فكر ودين واتجاه"[1].

وعلى الداعية أن يتخذ منهج الرسول-صلى اللّه عليه وسلم-في معرفة واقع المدعوين ومخاطبتهم بما يقع لهم من أحداث فقد كان-عليه الصلاة والسلام-يدرك أتم الإدراك مجتمعه و مجتمعات الشعوب الأخرى فقد: "كان-صلى اللّه عليه وسلم-يعلم واقع العالم كله، ويدرك اتجاهات الأفراد، ... كان يعرف ما عليه الفرس والروم، ويعرف ما بينهما من حروب وأحقاد، ويعلم أن الروم أهل كتاب، وأن الفرس عبدة أوثان وأصنام،...ووقف-صلى اللّه عليه وسلم-على كافة أحوال اليهود والمنافقين، وسائر القبائل، وهو في مكة قبل الهجرة، وبعد استقراره في المدينة بعد الهجرة،..كان-صلى اللّه عليه وسلم-يحدث أهل الكتاب عن رسلهم وكتبهم، ويحدث القرشي عن الخالق والمخلوق، ويحادث أهل الزرع

---

[1]- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد غلوش 574.

والتجارة كل ما هو فيه، وبما يتلاءم مع حياته وفكره، وتلك قضية مهمة لا بد منها لنجاح الدعوة إلى اللّه-تعالى-"[1].

وكان-صلى اللّه عليه وسلم-يحيط علما بما يقع في بيئته، والأحداث التي يشهدها مجتمعه فقد: "عاش النبي-صلى اللّه عليه وسلم-مع المجتمع الذي سينقل إليه الدعوة عيشة المستوعب لثقافة البيئة دون أن يغامس حياة المجتمع في اتجاهاتها التي تؤثر مستقبلا عليه، فهو لم يغفل ولم ينغمس فيها، بل عاش حياة المجتمع الفاضلة، فقد كان راعيا للغنم عند قريش على قراريط، وكان تاجرا معهم في السوق، وكان قاضيا لهم في مدلهمات الأمور عند وضع الحجر الأسود، واشترك معهم في حلف الفضول"[2].

والفقيه الذي يفتي للناس على ما يعرض لهم من المسائل المختلفة تجعله داعيا يمارس الدعوة بين الناس: "لأن الناس كلما طرحوا عليه مشاكلهم، وطلبوا منه حكم اللّه يدلي بدلوه فيما يعرف، وفيما لا يعرف يبحث ويفتش ويجتهد رأيه، لأنه قادر على البحث والتحقيق وتخريج المسائل، فتتنوع مسائل الفقيه وتصبغ بالصبغة الدعوية، حيث يتحول علمه من علم نظري إلى علم تطبيقي يدور في فلك الواقع"[3].

وهذا الواجب على الداعية أن يعايش واقع مجتمعه، ويدرك ما يصلح بهم وما لا ينفعهم، ليكون لدعوته الأثر البين عليهم: "فعلى الداعية أن يضطلع بفقه الواقع، وأن لا يسبح في بحر الخيال، أو يعيش مشاكل العصور الغابرة وقضاياها، فينشغل بتقديم الحلول العقدية

---

[1]- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني لأحمد غلوش 702.

[2]- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي لأحمد غلوش 191.

[3]- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد 105.

والفكرية والمنهجية والسلوكية لها، فإن ذلك لا ينفع أمته وحاضره وواقعه"[1].

وعلى هذا المنهج سار الإمام مالك مع مجتمعه المدنـــي، فهو أحد الأئمة الأربعة المجمع على إمامتهم، والعمل الدعوي ترجمة عملية لما يحمله صاحبه من علم فـ: "العمل الدعوي جزء من التطبيق العملي للفقه الشرعي، وقد يكون من الصعب تصور فقيه لا يمارس العمل الدعوي"[2]

فقد كان الإمام فقهيا مجتهدا، وداعيا ناجحا أحاط بعادات مجتمعه واتجاهات أفراده ونفسياتهم، فقد كان الإمام: "الشخصية المجربة للحياة بمجموع قوى صاحبها، ومدى خبرته بشؤون الدنيا؛ وأقول عنها الشخصية العملية، التي هي المعنى الجامع لكيان المرء، من حيث صلاحيته لممارسة النشاط العملي، والفقيه المتشرع يعرض لما يجري في حياة قومه الخاصة"[3].

وقد بنى حكمه الشرعي على ما يدركه من العادات والأعراف السائدة في مجتمعه، وفي ذلك معرفة واقع المدعوين، حتى تميز المذهب المالكي بهذه الخاصية فإن: "المذهب المالكي-كما هو معروف عنه-مذهب عملي يعتد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، فقهه عملي أكثر منه نظري، يتمشى مع الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد"[4].

---

[1]- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد135.

[2]- المرجع نفسه104.

[3]- مالك تجارب حياة لأمين الخولي237.

[4]- مباحث في المذهب المالكي لعمر الجيدي 36.

وقد أكثر الإمام من ذكر أحاديث الصحابي الجليل عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما-في الموطإ، حتى سأله خليفة المسلمين عن كثرة روايته عن ابن عمر فعلل ذلك بأن ابن عمر عايش واقع أهل المدينة، وكان الناس يسألونه عن الوقائع التي يتعرضون لها، يقول الإمام: "يا أمير المؤمنين كان آخر من بقي عندنا من الصحابة، فاحتاج الناس إليه فسألوه، فتمسكوا بقوله"[1]، وعلى هذا المنهج سار الإمام مالك، فكان حريصا أن ينقل ما توارثه علماء أهل المدينة وعملوا به، وكان يسأل الناس عن الوقائع والأحداث فهو: "فقيه عملي يعتد بالواقع في إثبات الأحكام والنصوص وبالعرف الذي يتعارفه الناس،..ويحتفل أعظم احتفال بسابقة العمل بالمدينة وباتفاق جماعة العلماء فيها، أخذا بالتطبيقات التي توارثتها"[2].

ولذلك كان من منهج الإمام ألا يجيب السائل إلا عما يقع له من الأحداث والمسائل، فقد كان منهجه: "الواقعية في نوازله، فنوازله وفروعه في مختلف الأبواب، موضوعاتها تتراوح بين ما هو واقع وما يمكن وقوعه نادرا، وقد كان مالك-رحمه الله-إذا سئل عن شيء من ذلك يقول للسائل: سل عما يكون ودع ما لا يكون"[3]، وكان الإمام يقول: "ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل"[1].

وقد ثبت عنه الكثير من الأخبار التي تدل على كراهته للمسائل التي لم تقع لأصحابها، فقد سأله رجل عراقي: "عن رجل وطئ دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأفقست البيضة عنده عن فرخ أيأكله؟ فقال

---

[1]- تاريخ الإسلام والسير للذهبي 329/11.

[2]- أئمة الفقه الإسلامي لعبد الحليم الجندي 90.

[3]- خصائص المذهب المالكي لمحمد التاويل 126.

مالك: سل عما يكون، ودع ما لا يكون"[2]، وسأله آخر عن مسألة نحوها، فلم يجبه الإمام فقال له السائل مستفهما عن عدم إجابته فقال له: "لو سألت عما تنتفع به أجبتك"[3].

وقد أدرك تلاميذه أن الإمام مالكا لا يجيب عن المسائل الفرضية التي لم تقع، فلا يسألون عنها، وكانوا ينتظرون من يأتي إلى الإمام ليسأله عن هذه المسائل، يقول ابن القاسم: "كان مالك لا يكاد يجيب، وكان أصحابه يحتالون أن يجيء رجل بالمسألة التي يحبون أن يعلموها كأنها مسألة بلوى فيجيب بها"[4].

ومن مظاهر معرفة واقع المدعوين ومخاطبتهم به أن الإمام نهى خليفة المسلمين أن يلزم الناس بكتابه الموطإ في الأمصار؛ لأنه يدرك أن العلماء انتشروا في الأمصار وهم أدرى بواقع الناس، فرفض الإمام طلب أمير المؤمنين أن يلزم الناس بالموطإ وقال له: "يا أمير المؤمنين! قد رسخ في قلوب أهل كل بلد ما اعتقدوه وعملوا به، ورد العامة عن مثله عسير"[5].

وقد اعتمد الإمام على عمل أهل المدينة وجعله أصلا من أصوله، لأنه مبني على المسائل التي وقعت للناس واستفتوا عنها فقهاء المدينة والإمام: "ففيه عملي يعتد بالواقع ويتخذه دليلا له، ومن ذلك اعتماده على سابقة عمل أهل المدينة، واتفاق جماعتها عليه، واعتداده بالعرف

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 171/3.
[2]- المصدر نفسه191/1.
[3]- المصدر نفسه191/1.
[4]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1 / 191.
[5]- الانتقاء لابن عبد البر41.

الشرعي والمصلحة"[1]، وكان الإمام يقول: "العمل أثبت من الأحاديث"[2]، وقد روى الإمام مالك عن أبي بكر بن حزم[3] أنه قال: "إذا وجدت أهل المدينة مجتمعين على أمر فلا تشك أنه الحق"[4].

ومن معرفة واقع المدعوين عند الإمام أنه كان يخص كل بلد من البلدان بوقت يخلو بهم؛ يسألونه عما يقع لهم من مسائل تخص أهل ذلك الإقليم فقدكان له مناد ينادي عند بابه: "ليدخل أهل الحجاز، فما دخل إلا هم، ثم نادى في أهل الشام، ثم في أهل العراق "[5].

وقد أمر الإمام تلاميذه إلى فهم واقعهم وتعلم العلم الذي ينفعهم في حياتهم اليومية، فقد سئل عن طلب العلم فقال: "حسن جميل! ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه"[6].

وكان يراعي فيهم واقع حالهم في أخذهم العلم، فقد حرص على أن يتلقى تلامذته العلم بالتدرج، ويمنعهم من أخذه دفعة واحدة، فقد جاء عنه أنه قال لما أكثر أحد طلاب العلم في الأسئلة: "أكثرت خذوا بيد الشيخ" [7]، وينظـر إلى حالهم في روايته للحديث النبوي، فقد يرفع بعض الأحاديث وقد يرسلها على ضوء ما يقتضيه حال المتلقي فقد كان

---

(1)- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر 62 .

(2)- الجامع في السنن والآداب والحكم لابن أبي زيد القيرواني117.

(3)- هو: "أبو بكر بن محمد بن عمروبن حزم الأنصاري النجاري بالنون والجيم، المدني، القاضي، اسمه وكنيته واحد وقيل: إنه يكنى أبا محمد، ثقة عابد من الخامسة، مات سنة عشرين ومائة، وقيل غير ذلك ع"تقريب التهذيب لابن حجر 624.

(4)- التمهيد لابن عبد البر 1 /81.

(5)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 30.

(6)- المصدر نفسه 60/2.

(7)- المصدر نفسه2 /19.

الإمام مالك: "يرسل أحاديث لا يبين إسنادها، وإذا استقصى عليه من يتجاسر أن يسأله، ربما أجابه إلى الإسناد"[1].

ومن الأسباب التي دعت الإمام مالكا إلى تصنيف الموطإ هو معرفته واقع المدعوين في مجتمعه الذي يعيش فيه؛ فقد نظر الإمام إلى كثرة العلماء من التابعين وانتشار أقوالهم، فأراد جمعها في مؤلف واحد وتسهيله للناس: "ويظهر أن الحاجة كانت ملحة لمرجع يعمل به القضاة، والمفتون الذين تختلف آراؤهم، وفتاواهم حسب نظرهم واجتهادهم، وكذلك كانت الحاجة ألح وأدعى لإيجاد تفسيرات، وتخريجات لأمور الناس، وأعمالهم المعاشية اليومية"[2].

وأكبر دليل على أن الإمام أقام الموطأ على العمل وواقع الناس هو تنقيح الإمام للموطإ بين زيادة وحذف، ولذلك اختلفت نسخه فكان: "المعيار الحقيقي والمقياس الأصلي لأحاديث الموطإ هو اعتبار الأصلح للناس من حاجتهم، ومما تتطلبه مصالحهم، وعلى هذا الاعتبار قام الكتاب، ولا شك أن مصالح الناس ووقائعهم ونوازلهم كلها غير ثابتة ولا مستقرة، ...ولذلك كان من نتائج هذه الميزة كثرة التغيير والتبديل والزيادة والحذف في الموطإ بحسب هذا المقياس"[3].

وعند الاطلاع على كتاب الموطإ يتضح لقارئه اهتمام الإمام بواقع الناس جليا؛ وذلك بما يذكره الإمام من أمور تلامس واقعهم اليومي ففي الموطإ: "مسائل تبدو فيها خبرة مالك العملية بمعايش الناس، ومعرفته بأنواع المعادن، والنبات، والثياب المتداولة، وغيرها فهو يقول: الأمر

---

[1]- الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى الخليلي 1/ 164.

[2]- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 63 .

[3]- إمام دار الهجرة مالك بن أنس لعبد الحليم الجندي138، 139.

عندنا فيما كان مما يوزن من غير الذهب، والفضة من النحاس والشبه، والرصاص والآنك"[1].

وقد أورد الإمام في موطئه ألفاظا تدل على معرفته بواقع المدعوين والعمل السائد في مجتمعه من ذلك قوله: "وليس على هذا العمل"[2]، وقوله: "وليس على هذا العمل"[3]، وهذا فيه دلالة على إدراكه على واقع الناس واطلاعه عليه: "وإذا ظهر على موطئه سمة الحديث فإنه بتبويبه، وربطه بواقع الحياة في المدينة يجعل منه مصنفا في الحديث والفقه معا، ألا يكثر القول: وعليه العمل عندنا، والأمر المجتمع عليه، والأمر عندي".[4]

وسيذكر الباحث بعض الأمثلة تدل على أن الإمام مالكا اعتمد فيها على معرفة واقع المدعوين، وبنى حكمه الشرعى بعد النظـــر في واقعهم، ففي الموطإ كثير من الأحكام بناها الإمام على واقع المكلفين وأحوالهم المختلفة، من ذلك ما جاء في الموطإ لما سئل: "متى يجبُ القيام على الناس حين تقام الصلاة؟ فقال: لم يبلغني في النداء والإقامة إلا ما أدركت الناس عليه، فأما الإقامة فإنها لا تثنى وذلك الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا، وأما قيام الناس حين تقام الصلاة، فإني لم أسمع في ذلك بحدٍّ يقام له، إلاَّ أني أرى ذلك على قدر طاقة الناس، فإن منهم الثقيل والخفيف، ولا يستطيعون أن يكونوا كرجل واحد"[5]، يتبين من جواب الإمام المنهج العام الذي يسلكه في الدعوة

---

(1)- الموطـآت للإمام مالك لنذير حمدان241.

(2)- كتاب الرضاعة، باب ما جاء في الرضاعة.

(3)- كتاب العقول، باب دية الخطأ.

(4)- الموطـآت للإمام مالك لنذير حمدان189.

(5)- كتاب الصلاة، باب ما جاء في النداء للصلاة.

حيث أجاب بأنه لم يثبت عنده نص من الكتاب والسنة فقال: "فإني لم أسمع في ذلك بحدٍّ يقام له"وهذا يدل على شدة تمسك الإمام بالكتاب والسنة، ثم أجاب الإمام بما أدرك الناس عليه من واقع فقال: "لم يبلغني في النداء والإقامة إلا ما أدركت الناس عليه"، ثم نظر الإمام إلى واقع المكلفين وأحوالهم المختلفة فقال: "إلاَّ أني أرى ذلك على قدر طاقة الناس، فإن منهم الثقيل والخفيف، ولا يستطيعون أن يكونوا كرجل واحد"[1].

ومن الأمثلة ما جاء عنه في الموطأ لما سئل عن البيع على البرنامج[2] فقال: "ذلك لازم لهم إذا كان موافقا للبرنامج الذي باعهم عليه قال مالك: وهذا الأمر الذي لم يزل عليه الناس عندنا يجيزونه بينهم، إذا كان المتاع موافقا للبرنامج ولم يكن مخالفا له"[3]، ففي هذه المسألة استند الإمام على العرف السائد في جواز هذا البيع مراعاة لواقع حال مجتمعه في البيع ، ودفع المشقة والحرج عن الناس.

ولما تحدث الإمام عن الدعوة قبل القتال نظر إلى مقتضى حال المدعوين وفصل في الحكم على مقتضى أحوالهم في الواقع، فقد ذكر أن من قرب من ثغور المسلمين، وكان في الصفوف الأولى لقتال المسلمين فإنه لا تجب دعوته للإسلام، وأما من بعدت ناحيته عن الصفوف الأولى فيجب دعوته إلى الإسلام يقول الإمام: "أما من قارب الدروب[4]، فالدعوة مطروحة عنهم لعلمهم بما يدعون إليه، وما هم عليه من البغض والعداوة

---

(1)- الموطا، كتاب الصلاة، باب ما جاء في النداء للصلاة.

(2)- "البيع على البرنامج بفتح الباء وكسر الميم وقيل بكسرهما، والمراد به: الدفتر المكتوب فيه صفة ما في العدل من الثياب المبيعة؛ لتشتري على تلك الصفة"جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر للتتائي المالكي 51/5.

(3)- كتاب البيوع، باب الملامسة والمنابذة .

(4)- "أصل الدرب : المضيق في الجبال؛ ومنه قولهم : أدرب القوم إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم"لسان العرب 1/ 374.

للدين وأهله، ومن طول معارضتهم للجيوش ومحاربتهم لهم، فلتطلب غرتهم[1]"[2]، ثم بين الإمام حال من بعدت ناحيته من المسلمين فقال: "وأما من بعد وخيف ألا تكون ناحيته ناحية من أعلمتك فإن الدعوة أقطع للشك وأبر للجهاد، يبلغ ذلك بك وبه ما بلغ، وبه تنال علم ما هو عليه في الإجابة "[3].

ومن الأمثلة التي نظـر فيها الإمام مالك إلى واقع حال المكلفين ما جاء عنه في اغتسال النصرانية من الجنابة والحيضة حيث قال: "لا يجبر الرجل المسلم امرأته النصرانية على أن تغتسل من الجنابة"[4]، فقد نظر الإمام إلى واقع حال ديانة الزوجة النصرانية .

وقال في موضع آخر لما سئل عن النصرانية تحيض ثم تطهر فقال: "تجبر على الغسل من الحيضة ليطأها من قبل أن المسلم لا يطأ امرأته حتى تطهر من الحيض، وأما الجنابة فلا بأس أن يطأها وهي جنب"[5]، ففي هذا الموضع نظر الإمام إلى مقتضى واقع المسلم، وهو أنه لا يجور له أن يطأ زوجته الحائض إلا بعد الاغتسال من الحيضة.

ولما سئل الإمام عن الماء الذي يكفي الجنب قال: "ليس الناس في هذا سواء"[6]، فلم يحدد الإمام مقدار الماء للجنب؛ لأن الناس متفاوتون مختلفون، وفي ذلك مراعاة لواقع حال البشر في اختلاف أجسامهم وأحوالهم.

---

(1)- "يريد أن الدعوة ممنوعة في هذا الموضع " تعليق السيد علي بن السيد عبدالرحمن الهاشم على المدونة 3/ 6.

(2)- المدونـــة 3/ 6.

(3)- المصدر نفسه 3/ 6.

(4)- المصدر نفسه 1 / 134

(5)- المصدر نفسه 134/1.

(6)- المصدر نفسه 1 / 124.

وقد منع الإمام مالك أن يؤم الأعرابيُ المسافرَ والحضرَ مراعاة لمقتضى واقع المدعوين، فقد جاء في المدونة: "وقال مالك في الأعرابي: لا يؤم المسافرين والحضريين، وإن كان أقرأهم"[1]، فقد أدرك الإمام واقع الأعرابي؛ وهو قلة العلم لبعده عن أماكن تلقي العلوم، يقول ابن حبيب: "وإنما نهى مالك عن إمامة الأعرابي وإن كان أقرأهم؛ لجهله لسنة الصلاة"[2].

ومن الأمثلة في هذا السياق ما ثبت عنه في مسألة الأم المرضعة ذات الشرف والحسب؛ فإن الإمام مالكا لا يرى وجوب الرضاعة عليها عملا بقوله-سبحانه وتعالى-﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾[3]، فقد سئل الإمام: "عن المرأة ذات الزوج أيلزمها رضاع ولدها؟ فقال: نعم على ما أحبت أو كرهت، إلا أن تكون ممن لا تكلف ذلك، قال: فقلت لمالك: ومن التي لا تكلف ذلك؟ فقال: المرأة ذات الشرف واليسار الكثير التي ليس مثلها ترضع وتعالج الصبيان، فأرى ذلك على أبيه، وإن كان لها لبن"[4].

فقد نظر الإمام إلى واقع المجتمع وعاداتهم، وخصص الآية بما يعيشه الناس من واقع، يقول القرطبي: "إلا أن مالكا-رحمه اللّه-دون فقهاء الأمصار استثنى الحسيبة فقال: لا يلزمها رضاعة، فأخرجها من الآية وخصصها بأصل من أصول الفقه، وهو العمل بالعادة، وهذا أصل لم

---

(1)- المدونة 1/ 235.

(2)- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني 1/ 287.

(3)- البقرة 233.

(4)- المدونة 2/304.

يتفطن له إلا مالك، والأصل البديع فيه أن هذا أمر كان في الجاهلية في ذوي الحسب، وجاء الإسلام فلم يغيره"[1].

كل هذه الأمثلة تبين أن الإمام مالكا كان يدرك واقع المدعوين ويخاطبهم بما يناسبهم، ويدرك عاداتهم ويفهم واقعه على حقيقته؛ فقد كان يُسأل عن المسائل الواقعة في المجتمع فيجيب عنها بفهم لهذه الوقائع، وهذا الواجب على الداعية أن يكون على معرفة بواقع المدعوين ويخاطبهم بما يناسبهم.

[1]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 173/3.

# الفصل الثالث

## الصفات الدعوية وأساليبها

## عند الإمام مالك

في هذا الفصل يعدد الباحث الصفات الدعوية التي تميز بها الإمام مالك، ثم يذكر الوسائل الدعوية التي اتبعها الإمام في الدعوة، وأهم الأساليب المتبعة عند الإمام مع المدعوين، وقد قسم الباحث الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الصفات الدعوية

المبحث الثاني: وسائل الدعوة وأساليبها

## المبحث الأول: الصفات الدعوية

قبل أن يعدد الباحث الصفات التي اتصف بها الإمام لابد من ذكر تعريف الداعية في اللغة وفي الاصطلاح.

فالداعية في اللغة من يدعو غيره إلى حق أو باطل، جاء في لسان العرب: "والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي-صلى الله عليه وسلم-داعي الله-تعالى-، وكذلك المؤذن"[1]، وجاء في المعجم الوسيط: "والداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة والهاء للمبالغة.. والدعوة يقال دعاه بداعية الإسلام والدعوى "[2].

أما الداعية في الاصطلاح فقد عرفه عبد الكريم زيدان بقوله: "هوالمكلَّف شرعًا بالدعوة إلى الله"[3]، وقال محمد البيانوني في تعريف الداعية: "هو المبلغ للإسلام والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل"[4].

والإمام مالك عالم شهد له القاصي والداني بعلو كعبه في العلم، له مذهب متبع في الأمة الإسلامية، فلم يصل الإمام إلى هذه المنزلة إلا بعد جهد ومثابرة على منهج رسمه وسلك طريقه ودل عليه تلاميذه، وقد

---

(1)- 14 / 259.

(2)- 1/286.

(3)- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان305.

(4)- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني الدعوة40.

تميز الإمام بصفات متعددة متنوعة فقد: "كان-رحمه اللّه-حاملا لصفات العلم، ولأخلاق العلماء، وسالكا سبيل التبين والتثبت في المشكلات، ومتحريا في المعوصات، جعله يسير على سنن الماضين"[1].

وقد تعددت الصفات في شخصية الإمام حتى برز بين أقرانه في عصر لا يتميز فيه إلا من بلغ الدرجة العليا من العلم: "هذه صفات الإمام مالك-رضي اللّه عنه-وقد تضافرت تلك الصفات السامية وهذه المواهب العالية، فكونت تلك الشخصية الفذة التي مضت بذكرها الأجيال، وأورثت الناس ذلك العلم الغزير، وذلك الفقه المرن"[2].

والواجب على الداعية أن يتصف بهذه الصفات ليكون مؤثرا بين الناس؛ فتسمع دعوته ويطاع فيما يرشد الناس إليه فإن: "هناك عدة عوامل يمكن أن تؤثر في حياة الداعية، ومن ثم تؤثر في عمله ودعوته للناس، وهذا ما يتطلب من الداعية التنبه إلى تلك المؤثرات والتعرف عليها ودراستها ووضع الحلول الناجحة لها"[3].

وسيذكر الباحث عددا من الصفات التي اتصف بها الإمام، وتعامل بها مع طبقات المجتمع المختلفة حتى صار له الأثر عليهم جميعا، وقد جاءت هذه الصفات في عدة مطالب على النحو الآتي:

---

[1]- بحث الإمام مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة، وترجيحه على الحديث الذي لا يصحبه عمل، للرحالي الفاروقي، ندوة الإمام مالك بالمغرب 58.

[2]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة105.

[3]- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبد الرحيم محمد المغذوي122.

## المطلب الأول : منهجية الإمام مالك في طلب العلم.

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين فضل العلم والعلماء منها قوله تعالى: ﴿يَرفعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَٱلَّذِينَ أوتُوا ٱلعِلمَ دَرَجَٰت وَٱللَّهُ بِمَا تعمَلُونَ خَبِير﴾[1]، يقول القرطبي: "قوله تعالى: ﴿يَرفعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَٱلَّذِينَ أوتُوا ٱلعِلمَ دَرَجَٰت ﴾ أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم"[2]، ودلت أحاديث كثيرة في السنة النبوية على فضل العلم وأهله منها: قوله-صلى الله عليه وسلم-: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[3].

والداعية أحوج الناس إلى العلم فهو مبلغ عن الله-تعالى- ، وعن رسوله-صلى الله عليه وسلم-فإن كان جاهلا بأحكام الشرع فإن ضرره على الدعوة أكبر من إصلاحه، ومن ألف في علم الدعوة وأصولها يؤكدون على أن العلم من أساسيات علم الدعوة، والواجب على الداعية أن يتحلى بهذه الصفة يقول عبد الكريم زيدان: "والواقع أنَّ تقديم العلم على أيِّ عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد ؛ ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأيِّ عمل ضروريًّا ، فإنَّه أشدّ ضرورة للداعي إلى الله؛ لأنَّ ما يقوم به من الدين منسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وبشرعيِّة ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم

---

(1)- المجادلة 11.

(2)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي299/17.

(3)- أخرجه البخاري كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين .

المطلوب واللازم له كان جاهلا بما يريده، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ لجهله بما أحلَّه الشرع وأوجبه، وبما منعه وحرَّمه، فيجب إذن لكل داع إلى الله-تعالى-العلم بشرع الله، وبالحلال والحرام، وبما يجوز وما لا يجوز"[1].

والداعية تقع عليه عيون الناس؛ لأنه مبلغ للشريعة فيبادرونه بالسؤال عن أمور دينهم، فإن كان على غير علم كان أشد ضررا من غيره على الدعوة فإن:" الداعية المتصدر للدعوة معرض لطلب حكم الشرع في كثير من أمور الناس، فإن كان جاهلا في دين الله فإما أن يفتي بغير علم، وإما أن يظهر جاهلا في دعوته أمام المدعوين، وفي كلتا الحالتين تسقط دعوته، وتضيع هيبته، ويصبح موقفه الدعوي ضعيفا جدا"[2].

فالواجب على الداعية أن يوسع مداركه في العلم لكثرة الشبهات المختلفة التي تشكك الناس في دينهم، وكثرة الدعوات إلى أفكار منحرفة في عصرنا الحديث فإن: "مما يجب على الداعية إلى الله-تعالى-أن يكون متسلحا بالعلم، وسعة المعرفة وعمق الثقافة؛ حتى يكون في دعوته إلى الله على بينة وبصيرة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِي أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[3] وهذا المطلب من أوكد الأمور في حق الداعية، لا سيما في عصرنا هذا، حيث غدت الحاجة ماسة وملحة لأن يتسلح كل من يتصدى للقيام بالدعوة الإسلامية بالمعرفة والثقافة الشمولية، في مواجهة الحرب الفكرية والثقافية العاتية، التي ترمي إلى إبعاد الناس عن الإسلام، وزعزعة اعتقاد

---

(1)- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان 236.

(2)- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد 135.

(3)- يوسف 108.

المسلمين في دينهم، وجدارته بقيادة الحياة، وإصلاح حال البشرية وإسعادهم"[1].

وقد وصف الإمام بأنه فقيه مدقق ومحدث محقق، وهبه الله-سبحانه-ذاكرة قوية وذكاء حادا، جمع العلوم كلها فتبوأ بين أقرانه المكانة العليا، فأصبح عالما كبيرا يقتدي به الناسُ في شتى بلدان المسلمين.

ولأهمية العلم في حياة العالم الداعية وضع الإمام مالك في الموطإ كتاب العلم، وأدرج تحته باب ما جاء في طلب العلم، وفي ذلك إشارة من الإمام إلى ضرورة التعلم وطلب العلم لكل مسلم لا سيما الداعية حيث إن: "دور الداعية يحتاج إلى العلم الوافر والأفق الواسع، لأنه يوضح الدين ويبين للناس سمو مبادئه ونظمه، ويرد الشبهات التي تثار أمامه، ومن هنا كانت حاجته إلى التحصيل الدائم، والمعرفة الشاملة...، ولذا كان العلم بها من أساسيات علم الداعية لأن فاقد الشيء لا يعطيه"[2]

وقد سار الإمام في طريق العلم متبعا مسالك العلماء، فقد نشأ في المدينة المنورة وأدرك جمعا من التابعين وأتباعهم، فأخذ العلم عنهم، حتى أصبح أعلم أهل زمانه في الفقه والحديث وغيرها من العلوم فقد: "بلغ مالك-رضي الله عنه-من علم السنة الذروة، وبلغ من الفقه درجة صار فيها فقيه الحجاز الأوحد، وبذلك جمع بين الحديث والفقه، فهو في المحدثين إمام، ويعد أول من دون علم الحديث، وكتابه أول صحيح مجموع مدون الحديث، وهو في الفقه الفقيه الثاقب النظر الذي يجمع فقهه بين الكمال الديني، ومراعاة مصالح الناس"[3].

---

[1]- فقه الدعوة في ضوء موقف جعفر أمام النجاشي لإسماعيل علي محمد62، 63.

[2]- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد غلوش574.

[3]- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 87.

وقد كان الإمام يفتي في زمن كبار التابعين وهذا دليل على علو كعبه في العلم بين أقرانه يقول ابن عبد البر: "كان مالك يفتي في زمان كان يفتي فيه يحيى بن سعيد الأنصاري[1]، وربيعة بين عبد الرحمن، ونافع مولى ابن عمر ومثلهم"[2].

وقد كان الإمام من أوائل من وضع قواعد علوم الحديث في مؤلفاته، فقد ذكر ابن حبان أن الإمام مالكا هو أول من انتقى الرجال في المدينة فقال: "وكان مالك- رحمه اللّه-أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث، ولم يكن يروي إلا ما صح، و لا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك"[3].

والإمام مالك أول من أسس علم نقد الرجال، وقد وردت عنه عبارات وضع فيها أسس هذا المنهج في تحريه سنة النبي-صلى اللّه عليه وسلم-منها قوله: "لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم، لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على حديث رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به"[4]، وقد سئل الإمام عن أحد الرواة فقال للسائل: رأيته في كتبي ؟ قال: لا فقال: لو كان ثقة رأيته في كتبي"[5].

---

[1]- هو: "يحيى بن سعيد بن فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء مضمومة التيمي، أبو سعيد الأنصاري، البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله ثمان وسبعون ع" تقريب التهذيب591.

[2]- الانتقاء لابن عبدالبر27.

[3]- الثقات لابن حبان 7/ 459.

[4]- الانتقاء لابن عبدالبر16.

[5]- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي410.

يقول النووي[1]: "هذا تصريح من مالك- رحمه الله-بأن من أدخله في كتابه فهو ثقة، فمن وجدناه في كتابه حكمنا بأنه ثقة عند مالك، وقد لا يكون ثقة عند غيره"[2].

وقد نص العلماء على أن كتاب الموطأ كان الأساس الأول الذي بنى عليه البخاري ومسلم صحيحهما، واعتمد عليه الترمذي في سننه، يقول ابن الأثير[3]: "ومنهم من يثبت الأحاديث في الأماكن التي هي دليل عليها، فيضعون لكل حديث بابا يختص به، فإن كان في معنى الصلاة ذكروه في باب الصلاة، وإن كان في معنى الزكاة، ذكروه في باب الزكاة، كما فعله مالك بن أنس في كتاب الموطأ، إلا أنه لقلة ما فيه من الأحاديث قلت أبوابه، ثم اقتدى به من بعده، فلما انتهى الأمر إلى زمن البخاري ومسلم، وكثرت الأحاديث المودعة في كتابيهما، كثرت أبوابهما وأقسامهما، واقتدى بهما من جاء بعدهما"[4].

ويقول القنوجي[5]: "واعلم أيضا أن الكتب المصنفة في السنن: كصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وما يتعلق

---

[1]- هو: "يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حزام الفقيه الحافظ الزاهد أحد الأعلام شيخ الإسلام، محيي الدين أبو زكريا الحزامي النووي بحذف الألف ويجوز إثباتها الدمشقي، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة،...مات ببلده نوى بعد ما زار القدس والخليل في رجب سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بها ومن تصانيفه: الروضة، والمنهاج، وشرح المهذب ..والمنهاج في شرح مسلم، وكتاب الأذكار ،وكتاب رياض الصالحين، وكتاب الإيضاح في المناسك، والإيجاز في المناسك"طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة2/153،156.

[2]- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي 1/ 120.

[3]- هو: "المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، ثم الموصلي، الفقيه المحدث، اللغوي البارع العلم، ولد في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل وسمع الحديث، وقرأ الفقه والحديث والأدب والنحو،....توفي في آخر يوم من سنة ست وستمائة، من تصانيفه كتاب جامع الأصول، وكتاب النهاية في غريب الحديث، وكتاب شرح مسند الشافعي" طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة2/60،62.

[4]- جامع الأصول لابن الأثير 1/44.

[5]- هو: "محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، ولد سنة 1248 وتوفي سنة1307 هـ، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي،.. له نيف وستون مصنفا بالعربية

بالفقه من صحيح البخاري وجامع الترمذي مستخرجات على الموطإ تحوم حومه وتروم رومه، ومطمح نظرهم فيها وصل ما أرسله، ورفع ما أوقفه واستدراك ما فاته"[1].

وقد كان الإمام البخاري يعلم مكانة الإمام مالك في العلم؛ فإذا اجتمع حديث مالك مع غيره فإن البخاري يصدر به الباب، ولا يقدم أحدا على حديثه، ثم يردف حديث غيره من الأئمة يقول ابن تيمية[2]: "ثم هذه كتب الصحيح التي أجل ما فيها كتاب البخاري أول ما يستفتح الباب بحديث مالك، وإن كان في الباب شيء من حديث مالك لا يقدم على حديثه غيره"[3]، ويقول السيوطي: "إن البخاري إذا وجد حديثا يؤثر عن مالك لا يكاد يعدل به إلى غير"[4].

وقد اعتمد الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما على رواية الإمام مالك للأحاديث في عدد كثير من صحيحهما، وقد أحصى أحد البحاث هذه الأحاديث فجاءت على النحو التالي: "روى الإمام

---

والفارسية والهندسية منها بالعربية، منها: حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة – ط،و أبجد العلوم – ط، و فتح البيان في مقاصد القرآن -ط عشرة أجزاء، في التفسير" الأعلام للزركلي6/166،167.

[1]- الحطة في ذكر الصحاح الستة لمحمد صديق خان القنوجي 276.

[2]- هو: "أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره، ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران،.. وأما تصانيفه رحمه الله: فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها ولنذكر نبذه من أسماء أعيان المصنفات الكبار: كتاب " الإيمان" مجلد، كتاب " الاستقامة " مجلدان " جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية " أربع مجلدات،.... كانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشري ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة"الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب4/491،525."

[3]- مجموع الفتاوى لابن تيمية 325/20.

[4]- أوجز المسالك لمحمد زكريا الكاندهلوي 1 /22.

البخاري في صحيحه عن الإمام مالك 644 رواية، ..أما الإمام مسلم فقد روى في صحيحه عن الإمام مالك 346 رواية "[1].

وإذا انفرد الإمام بزيادة في حديث فإن العلماء يقبلون هذه الزيادة التي ينفرد بها مالك يقول الترمذي: "ورب حديث استغرب لزيادة تكون في الحديث، وإنما يصح إذا كانت الزيادة ممن يعتمد على حفظه، مثل ما روى مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: "فرض رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-زكاة الفطر في رمضان على كل حر وعبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين، صاعا من تمر، أو صاعا من شعير"[2]، فزاد مالك في هذا الحديث: "من المسلمين"[3].

وقد عد علماء الحديث مراسيل مالك ليست كغيره فقد قيل لأبي زرعة[4]: "فمالك مرسلاته أثبت أم الأوزاعي[5] قال: مالك لا يكاد يرسل إلا عن قوم ثقات، مالك متثبت في أهل بلده جدا"[6]، وغالب مراسيل الإمام ومقطوعاته في الموطإ موصولة في كتب الصحاح: "وجل المقاطيع والمراسيل والموقوفات في موطإ مالك موصولة مرفوعة في الصحيحين، وربما من طريق

---

[1]- موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه في الصحيحين لمحمد سعيد محمد بخاري19.

[2]- أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر.

[3]- شرح علل الترمذي لابن رجب 208/1 .

[4]- هو: "عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري بالنون، أبو زرعة الدمشقي، ثقة، حافظ، مصنف، من الحادية عشرة مات سنة إحدى وثمانين ومائتين د"تقريب التهذيب لابن حجر347.

[5]- هو: "عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، ثقة جليل، من السابعة مات سنة سبع وخمسين ع" تقريب التهذيب 347.

[6]- سير أعلام النبلاء للذهبي79/13.

نفسه، فلا يدل على ضعف ما في الصحيحين والسنن فكذلك الموطإ"[1].

ومن الأمثلة على ما ورد في الموطإ مرسلا ووصله البخاري في صحيحه من الطريق نفسه ما رواه الإمام عن هشام بن عروة[2] عن أبيه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-قال: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان"[3].

فقد أورده البخاري في صحيحه بهذا الطريق موصولا عن أم المؤمنين عائشة-رضي اللّه عنها-فقال: "حدثني محمد[4]، أخبرنا عبدة[5]، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: "كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان"[6].

وقد اطلع الباحث على كتاب "أثر الإمام مالك وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي"[7]، بين فيه مؤلفه أن أصحاب الصحيحين والسنن استفادوا من صنيع الإمام في موطئه من جهة الصناعة الحديثية والفقهية، حيث جاء في الكتاب: "وحين التأمل في صحيح البخاري والمقارنة بينه وبين موطأ الإمام مالك نجد أن الإمام البخاري كان معتنيا عناية فائقة بحديث مالك، وله في هذا طريقان، الطريق الأولى: الحرص على إخراج ما أخرجه

---

(1)- المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي لأحمد بن محمد الصديق الغماري 406/5.

(2)- هو: "هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة، فقيه، ربما دلس من الخامسة، مات سنة خمس أو ست وأربعين وله سبع وثمانون سنة ع" تقريب التهذيب لابن حجر573.

(3)- الموطأ، كتاب الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر.

(4)- هو: "محمدبن سلام بن الفرج السلمي مولاهم، البيكندي بكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الكاف وسكون النون، أبو جعفر، مختلف في لام أبيه والراجح التخفيف، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين وله خمس وستون خ" تقريب التهذيب لابن حجر482.

(5)- هو: "عبدة بن سليمان الكلابي، أبو محمد الكوفي، يقال اسمه عبد الرحمن، ثقة، ثبت، من صغار الثامنة، مات سنة سبع وثمانين وقيل بعدها ع" تقريب التهذيب لابن حجر369.

(6)- أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(7)- لمؤلفه عبد الرحمن العمري الصاعدي.

من الحديث، سواء أكان موصولا عاليا أو نازلا، وسواء أكان موصولا أم مرسلا أو بلاغا، والخلاصة أن البخاري حرص على إخراج ما أخرجه الإمام مالك من متون الحديث بأي طريقة كانت عند الإمام مالك، الطريقة الثانية: روايته لحديثه ولو بنزول"[1].

وبسبب دقة المنهج الذي سلكه الإمام وردت كثير من الأقوال عن العلماء في تقديم الإمام مالك عن غيره يقول ابن مهدي[2]: "ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحدا"[3]، وقد سئل الإمام أحمد عن أثبت الناس في الزهري فقال: "مالك أثبت في كل شيء"[4]، وقال أبوحاتم الرازي: "مالك بن أنس ثقة، إمام الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهري، وإذا خالفوا مالكا من أهل الحجاز حكم لمالك، ومالك نقي الرجال نقي الحديث "[5].

وجاء في كتاب الجرح والتعديل: "باب ما ذكر من إمامة مالك بن أنس في العلم"، وذكر تحته عددا من الآثار في منزلة الإمام مالك[6]، وفيه أيضا: "فمن العلماء الجهابذة النقاد الذين جعلهم الله علما للإسلام، وقدوة في الدين، ونقادا لناقلة الآثار: من الطبقة الأولى بالحجاز مالك بن أنس"[7].

وعند النظر في مؤلفات الإمام مثل الموطإ تظهر دقة الإمام في اختيار الأحاديث التي تندرج تحتها أبواب الموضوعات التي اختارها في الكتاب، لذلك يقول ابن خلدون[8]: "وكتب مالك-

---

(1)- أثر الإمام مالك وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي لعبدالرحمن العمري الصاعدي213.

(2)- هو: "عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة، ثبت، حافظ، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ع" تقريب التهذيب لابن حجر351.

(3)- حلية الأولياء وطبقات الأصفياءلأبي نعيم 322/6.

(4)- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم15/1.

(5)- المصدر نفسه 1/ 17.

(6)- 1 /11، 30.

(7)- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 1/ 10.

(8)- هو: "عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده وعزل وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة سنة 808هـ." الأعلام للزركلي330/3.

رحمه الله-كتاب الموطإ أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه، ورتبه على أبواب الفقه"[1].

وقد ذكر الشافعي أن غالب أحاديث الأحكام تدور على رواية الإمام مالك يقول الشافعي: "أصول الأحكام نيف وخمسمائة حديث، كلها عن مالك إلا ثلاثين حديثا"[2].

هذه هي منزلة الإمام في العلم حيث تبوأ منزلة عظيمة في هذا الشأن، فعلى الداعية أن يتحلى بالعلم الواجب الذي يعرف به الحلال من الحرام، وقد أشار من ألف في علم الدعوة إلى حرمة من سلك طريق الدعوة ولا يحمل قدرا من العلم، بل لابد أن يكون على قدر من العلم: "والمقصود بذلك أن يكون الداعية قد حصل قدرا من العلم والمعرفة بعلوم الإسلام الأساسية، يمكنه النظر في آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم- ليستنبط منها الأحكام الشرعية في صورتها الصحيحة"[3].

وليس المراد أن يكون الداعية عالما مجتهدا، وإنما يكفيه المعرفة بأصول الإسلام، وبعض فروعه الفقهية التي يكثر وقوعها والسؤال عنها من المدعوين، فالعلم الذي يكفي الداعية هو: "القدر اللازم من العلم والمعرفة بأصول الإسلام، وبعض فروعه الذي يمكن من فهم النصوص الإسلامية فهما صحيحا سليما

---

[1]- مقدمة ابن خلدون1/558.

[2]- النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي1/ 187.

[3]- فقه الدعوة إلى الله لعلي عبد الحليم محمود 374.

لمقاصد الشريعةعموما، ومعرفة الأحكام التفصيلية على وجه الخصوص"[1].

هذه هي أهم المحطات التي وصل إليها الباحث التي تبين مكانة الإمام مالك في العلم وبين العلماء، والمنهجية التي سلكها في طلب العلم، فحري بكل داعية أن يتخذ من هذه الشخصية أسوة له في مسيرته الدعوية.

[1]- فقه الدعوة إلى الله لعلي عبد الحليم محمود 375.

## المطلب الثاني: منهجية الإمام مالك في الصبر على مشاق العلم والدعوة

الصبر في اللغة من الحبس، جاء في لسان العرب أن: "أصل الصبر الحبس،... والصبر: نقيض الجزع، صبر يصبر صبرا، فهو صابر وصبار وصبير وصبور"[1]، وأما معناه العام فهو: "هو حمل النفس على المكاره وتجرّع المرارة، يعني إن لم يكن المرء مالك الصّبر فينبغي أن يجتهد ويكلف نفسه الصّبر، والصّبر هو ترك الشكوى إلى غير اللّه"[2].

أما الصبر في باب الدعوة فهي: "ضبط النفس على الاستمرار في طريق الدعوة مهما لاقت، وحبسها عن الإساءة للمدعوين قولاً وفعلاً، والصبر يعني: عدم الانتقام حين الأذى، وعدم الانقطاع عن الدعوة حين الملل، وعدم اليأس حين الفشل وبعبارة أخرى: عدم الاستجابة لردود فعل النفس، والتسرع في التصرف حيال المواقف"[3].

فالواجب على كل داعية أن يتحلى بالصبر والثبات في المواطن جميعا، فهو عدته في طريق الدعوة، وهو في حق الداعية أشد حاجة منه لغيره من المسلمين؛ ، فالدعوة فيها من المواقف والأحداث ما يحتاج إلى الصبر للاستمرار في هذا الطريق: "وإذا كان الصبر ضروريًا لأيِّ إنسان-لا سيما للمسلم-فإنَّ الصبر للداعي

---

(1)- 438/4.

(2)- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي التهانوي2/1057.

(3)- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعدنان عرعور 107.

المسلم أشدّ ضرورة له من غيره؛ لأنَّه يعمل في ميدانين: ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة إلى الله، ومخاطبة الناس في موضوعها، فيحتاج إلى قدر كبير من الصبر في المجالين: مجال النفس ومجال الدعوة، حتى يستطيع تجاوز العقبات وتحمُّل الأذى، فإن فقد الصبر قعد أو انسحب من الميدان، وحق عليه الحساب، وفاته الثواب"[1].

وقد اتصف الإمام مالك بهذه الصفة الحميدة، حيث صبر وصفح عمن خاصمه لأمر يخص ذاته، فلم يجد الحقد والحسد إلى قلبه مسلكا فعاش صابرا محتسبا، ولأهمية منزلة الصبر عند الإمام مالك أخرج في الموطإ بسنده إلى أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر"[1]، يقول الباجي: "فتخريج الإمام لهذا الحديث فيه دلالة على الحث على الصبر، ومجاهدة النفس للتحلي به، وحملها على هذا الخلق الكريم"[2].

وقد مر الإمام في حياته بمراحل متفاوتة مذ بداية طلبه للعلم إلى أن صار عالما مشهورا، وكان زاده فيها الصبر، وقد تجلى صبر الإمام في عدة صورة منها:

---

[1]- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان 350.

1.صبرالإمام على الفقر لطلب العلم .

فقد أصابه الفقر والحاجة لانشغاله في طلب العلم فاضطر إلى بيع خشب سقف بيته يقول ابن القاسم: "أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه"[3]، كان هذا دأب الإمام الصبر على كل الأحوال والأحداث التي يمر بها في تقلبات الدنيا فقد: "كان صبورا مثابرا، مغالبا كل الصعاب، غالب الفقر، حتى إنه يبيع أخشاب سقف بيته في سبيل العلم، وكان يذهب في الهجير إلى بيوت العلماء، ...وكان يصبر على ما يبدو من حدة الشيوخ؛ ويتلقاها بصدر رحيب"[4]، وقد نصح تلاميذه للتحلي بهذا الخلق الكريم، ودعاهم إلى التصبر في طلب العلم، فقد غاب بعض تلاميذه عن درس العلم، وطلبوا منه إعادة ما فاتهم فقال لهم ناصحا: "من طلب هذا الأمر صبر عليه"[5].

2.صبر الإمام على استقامة أبنائه

ومن المواقف التي تجسد الصبر عند الإمام صبره على استقامة الأهل والأولاد، حيث إن الإمام مالكا يعلم أن الهداية من اللّه-تعالى-، وأن دور الداعية هو البيان وليست الهداية، فقد كانت ابنته تحفظ الموطأ وتقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نبهت أباها[6]، أما ابنه فكان

---

(1)- كتاب الصدقة، باب ما جاء في التعفف عن المسألة .

(2)- المنتقى في شرح الموطأ للباجي7/ 322.

(3)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 131.

(4)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة 91.

(5)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 17.

(6)- المصدر نفسه1 / 117.

يدخل على الإمام في درسه، ولا يجلس في مجلسه ليزاحم طلاب العلم، فقد نقل عن أحد طلابه أنه قال: "كنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس، فيقبل علينا ويقول: إن مما يهون علي أن هذا الشأن لا يورث، وأن أحدا لم يخلف أباه في مجلسه"[1]، فقد كان الإمام يحزن من ابنه لتكاسله عن طلب العلم ومزاحمة تلاميذه، لكنه صبر وبين لطلابه أن هذا الأمر توفيق من اللّه-تعالى-، فقد خاطب الإمام طلابه لما رأوا حال ابنه بقوله: "إنما الأدب أدب اللّه، هذا ابني وهذه ابنتي"[2].

3.صبر الإمام على أذى الحكام

ومن مظاهر الصبر عند الإمام مالك صبره على أذى الحكام، وتحمله لما لحقه منهم، وكان منهجه معهم قول الحق والصبر على ذلك فقد: "كان مالك لا تأخذه في اللّه لومة لائم، له من شجاعة الأدب، ورسوخ العقيدة، وقوة الإيمان ما جعله لا يهاب في إبداء رأيه أحدا، ولا يخشى في مذهبه وعدا ولا وعيدا، بل كان يستعصم بالصبر الجميل أمام التصريح بما يعتقده حق، حتى أفتى بخلع المنصور[3] "[4]، ولما أفتى الإمام بهذه الفتوى ضرب بالسياط حتى

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 117/1.

[2]-المصدر نفسه 117/1.

[3]- هو: "المنصور الخليفة أبو جعفر عبد اللّه بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، المنصور، ولد في: سنة خمس وتسعين، أو نحوها.، ضرب في الآفاق، ورأى البلاد، وطلب العلم وكان فحل بني العباس هيبة، وشجاعة، ورأيا، وحزما، ودهاء، وجبروتا، وكان جماعا للمال، حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه، والأدب، والعلم ، ...وعاش أربعا وستين سنة"سير أعلام النبلاء للذهبي 7/ 80،87.

[4]- بحث قبس من تاريخ مالك-رحمه اللّه-ندوة الإمام مالك بالمغرب الأولى لمحمد جبران المسفيوي 160.

أغشي عليه يقول القاضي عياض: "فلما ولي جعفر بن سليمان[1] على المدينة سعوا به، وأكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيئا"[2]، وصبر الإمام على هذه المحنة فخرج منها ثابتا مهابا عند الناس، بل جعل ضاربه في حل من إثمه رحمة به، فقد قال الإمام لما حملوه إلى بيته مغشيا عليه: "أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل"[3].

وهذا هو الواجب على الداعية أن يتخلق بالصبر ويكون له زادا في طريق الدعوة، لما يتعرض له من المحن والوقائع في طريق دعوته فإن: "مهمة الدعوة إلى اللّه-عزوجل-لا تخلو من المتاعب والمصاعب، وطريق الدعوة ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل هي محفوفة بالمكاره، والسائر فيها عرضة للابتلاءات والمحن؛ ولذلك على الداعية أن يتحلى بالصبر ويتسلح به، وأن يجعل نصب عينيه سيرة الأنبياء والرسل الذين دعوا أقوامهم إلى اللّه وقوبلوا بالأذى والعنت، فصبروا وأبلغوا رسالات ربهم"[4].

---

[1]- هو: "جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس العباسي، الأمير، سيد بني هاشم، أبو القاسم العباسي، ابن عم المنصور، وكان من نبلاء الملوك جودا وبذلا، وشجاعة وعلما، وجلالة، وسؤددا، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، ، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد ولي المدينة سنة ست وأربعين، ومائة توفي: سنة أربع وسبعين ومائة، وقيل: سنة خمس"سير أعلام النبلاء للذهبي 240/8.

[2]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 13.

[3]- المصدر نفسه 2/ 13.

[4]- فقه الدعوة في موقف جعفر أمام النجاشي لإسماعيل علي محمد 79.

## المطلب الثالث: الممارسة العملية لمحاسن الأخلاق عند الإمام

الخلــق في اللغــة الطبع والسجية جاء في القاموس: "هو السجية والطبع والمروءة والدين"[1].

وأما اصطلاحا فهو: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة خلقًا سيئًا"[2].

يعد حسن الخلق من أهم الوسائل التي تساعد الداعية على نجاح دعوته وتأثريه على المدعوين، فهو ســر نجاحه؛ لأن الداعية يختلط بالناس ويتعامل مع شرائح المجتمع المتنوعة، فإذا عاملهم بالخلق الحسن أسر قلوب أعدائه قبل محبيه فإن: "نهج الدعوة الصحيح حسن الخلق والترفق، فإن عُدِمَ الداعي ذلك بأن كان فظا غليظ القلب، كان سببا لانصراف الناس عنه، وإن كان محقا في دعوته مخلصا في عمله"[3].

وحسن الخلق كلمة شاملة للأخلاق الكريمة كلها المتفق عليها بين الناس، فالواجب على الداعية أن يجعل حسن الخلق صفة ملازمة له يتخلق بها؛ ليكون لدعوته الأثر المثمر في المدعوين: "إن حسن الخلق وطيب المعشر، لا يظهر في خطبة جمعة، أو إلقاء محاضرة، أو تأليف كتاب، إنما هو ممارسة عملية وخلق فعلي، يظهر في تصرفات الفرد

---

[1]- القاموس المحيط للفيروزآبادي 881.

[2]- التعريفات للجرجاني 101.

[3]- أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان 417.

ومواقفه، فهو سماحة في المعاملة، وعفو عن الإساءة، وبشاشة في الوجه، وطيب في الكلام، ورقة في العبارات، ورحمة بالضعفاء، وإجلال للوجهاء، واحترام للعلماء"[1].

ومن المعلوم أن أهم مصادر الدعوة الإسلامية هو الكتاب والسنة المطهرة، والتطبيق العملي للإسلام هو سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد أسر قلوب الناس بحسن خلقه فإن: "من تتبَّع سيرة المصطفى-صلى الله عليه وسلم-وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى اللَّه-تعالى-، فأقبل الناس ودخلوا في دين اللَّه أفواجا بفضل اللَّه-تعالى-ثم بفضل حسن خلقه-صلى الله عليه وسلم-، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم"[2].

وكان الإمام مالك عالما متبعا للسنة النبوية، تعلوه سمات الفضائل الكريمة، من هذه الفضائل سمة حسن الخلق، فقد كان لدعوته وآرائه الأثر العظيم بين تلاميذه وعامة الناس لما تخلق به من الخلق الحسن، وقد وصف الإمام بهذه الصفة الكريمة فقد: "كان أحسن النّاس خلقا مع أهله وولده"[3].

وقد حوى كتابه الموطأ جانبا مهما من جوانب الشريعة، وهو جانب حسن الخلق أو التزكية والتربية، أو التصوف الإسلامي السني، فقد جعل الإمام مالك في الموطإ نحوا من ربع الكتاب خاصا بهذا الجانب المهم الذي يتزود به الداعية في مسيرة دعوته إلى اللّه-تعالى-، وقد صدر باب الأخلاق بقوله: باب ما جاء في حسن الخلق، وأثناء هذا الربع أدرج كتاب صفة النبي-صلى اللّه عليه وسلم-، فيه إشارة منه-رحمه اللّه-إلى أن

---

[1]- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصرلعدنان عرعور128.

[2]- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن علي القحطاني 9.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 128/1.

الأخلاق تجسدت عمليا في رسولنا الكريم-صلى اللّه عليه وسلم-فهو جماع الأخلاق والصفات الكريمة، ثم ختم آخر هذا الربع من الموطأ بقوله: كتاب أسماء النبي-صلى اللّه عليه وسلم-فقد: "حظي جانب الأخلاق والأدب عند مالك-رحمه اللّه- بالعناية الكبيرة، حيث حاز على ربع الموطإ الأخير، بدأه بكتاب "حسن الخلق" وأنهاه بكتاب أسماء النبي-صلى اللّه عليه وسلم-واشتمل هذا الجزء على أبواب ملاح كباب ما جاء في حسن الخلق، وباب ما جاء في الحياء، ... زين بها مالك موطأه وأبان عن أهميتها في الحياة العامة والخاصة"[1].

ولذا فإن الموطأ حوى على كثير من الأبواب التي تشير إلى عدد من الأخلاق فإن: "مما يلاحظ أن مالكا يركز على الأخلاق الاجتماعية، والأدب الفردي معا، فأما الأخلاق الاجتماعية فبعضها إيجابي العمل والمقصد مثل: إصلاح ذات البين، والتودد إلى الناس، والتحاب في اللّه، والسلام، ومعظمها سلبي منهي عنه مثل: المهاجرة، واتقاء شر الناس، وترك ما لا يعنيه، والغضب، وبعضها تجتمع فيه السلبية بالإيجابية مثل: الحياء، والكلام، والصدقة،...وأما الأدب الفردي فيشمل السلوكيات منها: اللباس، والطعام، والشعر، والاستئذان، وآداب أخرى"[2].

وقد صدر الإمام باب ماجاء في حسن الخلق بقوله-صلى اللّه عليه وسلم-لمعاذ بن جبل-رضي اللّه-: "أحسن خلقك للناس"[3]، وفيه إشارة منه إلى وجوب التخلق بهذا الخلق العظيم مع كل الناس مؤمنهم وكافرهم، وختم الإمام الباب بقوله-صلى اللّه عليه وسلم-: "إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق"[4]، وفيه زيادة تأكيد من الإمام على أن الإسلام جاء ليؤكد

---

(1)- هامش تحقيق رضوان مختار بن غربية لكتاب: إرشاد السالك إلى مناقب مالك لابن المبرد الدمشقي238.

(2)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 284، 285.

(3)- أخرجه مالك بلاغا عن معاذبن جبل-رضي اللّه عنه-.

(4)- كتاب حسن الخلق، باب ماجاء في حسن الخلق.

على منظومة الأخلاق، وقد أرشد الإمام من أراد أن يسلك طريق العلم أن تكون بداية طريقه هو الخلق الحسن قبل العلم فقال ناصحا فتى: "يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم"[1].

وقد أكد الإمام على حسن الخلق فجعل آخر كتابه مخصصا بهذا الجانب، وفيها إشارة منه إلى أن حسن الخلق تكون البداية منه في طلب العلم وإليه المنتهى، فيكون الداعية وطالب العلم ملازما لهذه الصفة الكريمة: "إن ختام الموطإ بالأدب بعد التوسع في الفقه يربط تعامل الإنسان المسلم بالأدب الرفيع، والخلق الفاضل، ويجنبه الجفاف في حياته والتحايل والخديعة في تعامله، وإن المبادئ القانونية الفقهية لا تجدي إن لم تقم على قواعد راسخة من حسن الخلق، وتأكيده على الاجتماعية منها سلبية كانت أم إيجابية يطبع على حياة المسلم العملية بطابع الفضيلة التي هي من ثمرات العقيدة والعبادة، وتتغلل في جميع مرافق المجتمع المسلم الذي يأذن الله أن يكون خير المجتمعات"[2].

وهذا الواجب على الداعية أن يكون متحليا ملازما لحسن الخلق فإن الداعية إذا كانت هذه صفته على الدوام أقبل الناس عليه وألفوه، فإذا ألفه الناس يسر الله للداعية قبول دعوته بين الناس .

---

[1]- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم 6/ 330.

[2]- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان288.

## المطلب الرابع: عناية الإمام بالمظهر والهيئة وعلاقته بمنهجه الدعوي

من الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية هو الاهتمام بحسن مظهره، فاللباس له أثر كبير في نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم، واللباس في الغالب له دلالة عامة على سلوك الإنسان النفسي، وتشخيص لسلوك صاحبه، ويعطي صورة عامة عند الناس بمجرد النظر إليه، ولا شك أن الداعية مقصد أبصار الناس أينما نزل؛ فالواجب عليه أن يعتني بملبسه أشد الاعتناء بحسب مقدرته فإن: "اللباس له أثر كبير وظاهر على السلوك الخارجي والتفاعل النفسي، حيث يمكن للداعي أن يتعامل مع الشخصيات المدعوة على ظواهر ذلك، وأن يجعل من مظهر اللباس دلائل على الشخصية، فيحتاط لها بما يلزم من معاملة، فاللباس يدل على نوعية الشخصية، مثله في ذلك مثل الشكل الخارجي للجسم، يدل على شخصية وفكر ومعتقد صاحبه وسلوكه"[1].

وقد كان الإمام مالك شديد الاهتمام بحسن مظهره، قدوته في ذلك من سبقه من العلماء والصالحين، فقد روي عن الإمام أنه قال: "لم يكن في زمان سالم بن عبد الله[2] أشبه منه بمن مضى في الزهد والقصد، كان يلبس الثوب بدرهمين ويشتري

---

[1]- علم نفس الدعوة لمحمد زين الهادي57.

[2]- هو: "سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتا عابدا فاضلا، كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت، من كبار الثالثة مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح ع" تقريب التهذيب لابن حجر226.

الشملة بحملها ويخرج إلى السوق في حوائج نفسه، وكان القاسم يلبس الخز والثياب الحسان"[1].

وكان الإمام يعتني بمأكله وملبسه ومسكنه؛ حيث يرى أن الاستقامة لا تتعارض مع حسن المظهر وجمال اللباس، ولذلك كان الإمام يظهر التجمل، ويعتني بملبسه أيما اعتناء، فقد جاء في وصف هيئته: "كان مالك قليل المشي يظهر التجمل"[2].

ولم يكن مقياس الزهد والورع عند الإمام هو التقشف والعزلة ومنع النفس من الطيبات فقد: "كان مالك يرى هذا التوسع في النفقة تمتعا بالطيبات التي أحلها اللّه-تعالى-، والتي لا ينبغي للمسلم أن يحرمها على نفسه ما دام يجدها ويقدر عليها"[3]، وقداستحب الإمام مالك إظهار النعمة لمن وهبه اللّه له لا سيما العلماء، فقد كان الإمام مالك يقول: "ما أحب لأحد أنعم اللّه عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم"[4].

وقد كانت للإمام مالك هيبة واحترام وحب في قلوب الناس على اختلاف طبقاتهم، فقد وصف الإمام بأنه: "جميل الوجه نقي الثوب رقيقه يكره أخلاف[5]اللباس"[6]، وكانت هذه صفة ملازمة للإمام فإنه كان: "إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم، ولا يراه أحد من أهله ولا أصدقائه إلا متعمما لابسا ثيابه"[7]، وروي عن

---

(1)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني 173.
(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/124.
(3)- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة 111.
(4)- ترتيب المدرك للقاضي عياض1/ 123.
(5)- "جمع خلف والخلف بإسكان اللام للرديء" لسان العرب 9 /85.
(6)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1 /122.
(7)- المصدر نفسه 1/ 128.

ابن وهب أنه قال: "رأيت على مالك ريطة[1] عدنية مصبوغة بمشق[2] خفيف"[3].

والإمام يدرك أن حسن الهيئة للعالم له الأثر البين على الناس لذلك كان الإمام يقول: "أحب للقارىء أن يكون أبيض الثياب"[4]، ووصف لباسه فقيل فيه: "ولا أشد بياض ثوب منه"[5] وروي أيضا: "كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد، والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد"[6]، وحسن المظهر من توقير العلم ورفعة مكانته بين الناس، فقد كان الإمام: "يعنى بلباسه أتم عناية، يرى بذلك إعظام العلم ورفعة العالم، .. كان يلبس أجود اللباس وأغلاه، وأجمله، مما يليق به من الثياب العدنية الجياد"[7].

ولشدة حرص الإمام على النظافة العامة وحسن المظهر ثبت عنه أنه قال: "لا يتوضأ بماء قد توضئ به مرة، قال: ولا خير فيه"[8]، وإنما كره الإمام الوضوء بماء توضئ به مراعاة للنظافة العامة للمسلم؛ فالماء المتوضئ به لا يخلو من الأوساخ، وما كان في جسد المتوضئ منه، يقول الونشريسي معللا كراهة الإمام في الوضوء بماء توضيء به: " لأن الماء لابد أن يتعلق به أوساخ"[9].

---

(1)- "الريطة: كل ثوب لين دقيق" لسان العرب 7 / 307.

(2)- "المشق : طين يصبغ به الثوب" لسان العرب 10/ 345 .

(3)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/122.

(4)- المصدر نفسه 1/ 123.

(5)- المصدر نفسه1/120.

(6)- المصدر نفسه1/123.

(7)- الإمام مالك بن أنس الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر 33.

(8)- المدونة 1/ 58.

(9)- عدة البروق للونشريسي84.

فالواجب على الداعية أن يحرص على حسن مظهر لباسه فيما يليق بمكانته العلمية، فهو مقصد أنظار الناس، ولا شك أن المظهر الحسن والحياة الكريمة للإنسان المسلم -لاسيما الداعية- لها الأثر الإيجابي على حياته الخاصة والعامة في طريق الدعوة وقد: "عاتبه بعض الناس في عنايته الفائقة بأثاث البيت، وبملبسه ومأكله فقال: كان يُرى أن البيت الجيد راحة للنفس والبدن، وأن الطعام الجيد يعين على نشاط الذهن، وأن حسن الثياب يكسب المرء ثقة بالذات وإحسانا بالسعادة"[1].

[1]- أئمة الفقه التسعة لعبدالرحمن الشرقاوي83.

## المطلب الخامس: التطبيقات العملية لخلق التواضع عند الإمام

التواضع من الصفات الفاضلة، والسجايا الحميدة، والعلماء خير من يمثل هذه الصفات والأخلاق؛ لأن نفوسهم تشربت بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تحث على التواضع، وتذم الكبر من ذلك قول تعالى: ﴿ سَأَصرِفُ عَن ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلأرض بِغَيرِ ٱلحَقِّ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلمُستَكبِرِينَ ﴾[2] وجاء في الصحيح عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبرياء"[3].

والواجب على الداعية أن يسلك هذا المنهج القويم فالداعية: "أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالِط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريًا من التواضع وهو من ركائز أخلاق الإسلام؟ ثم إنَّ من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنَّهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبَّر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًّا وصدقًا، هكذا جُبلَت طبائع الناس، فإنهم ينفرون عن المتكبِّر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليه من

---

[1]- الأعراف 146.

[2]- النحل23.

[3]- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

قوله شيء، بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره"[1].

وعلى هذا المنهج الذي أرشد إليه الشارع سار الإمام مالك واتصف بهذا الخلق العظيم، فقد استوعب قلبه هذه النصوص الكريمة، وعاش عليها حياته كلها، و تميزالإمام بهذه الصفة الكريمة؛ لأن العلم إذا لم يلازمه تواضع فإنه سبب من أسباب الغرور وازدراء الناس له ف"التواضع وخفض الجناح للمسلمين، صفات يكتسبها الداعية بمجالسة الفقراء والمساكين ودعوتهم، فإن العلم وغزارته في الفقيه ربما ولد شعورا بالغرور والتعالي"[2].

ولأهمية التواضع روى الإمام في موطئه ما يدل على فضل هذا الخلق العظيم في قوله-صلى الله عليه وسلم-: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع عبد إلا رفعه الله"[3]، وقد شهد من خالط الإمام أو صاحبه، أو تتلمذ على يديه بكمال تواضعه، ولذلك فإنه كان يذكر المدعوين بالتواضع، والخضوع لله-تعالى-في فتاويه وأحكامه التي يسأل عنها، فقد سئل عن تقليد الهدي في الحج فقال: "لا يقلد ولا يشعر إلا من ينحر، وإني لأستحب للمرء أن يتواضع لله، ويخضع له، ويذل نفسه"[4]، وأنكر الإمام على أهل الغنى عدم تواضعهم ونحرهم لهديهم بأيديهم فقال: "وإن ناسا يأمرون من يذبح لهم، يريد

---

(1)- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان363.

(2)- العلاقة بين الفقه والدعوة لمفيد خالد عيد113.

(3)- أخرجه الإمام مالك من قول العلاء بن عبد الرحمن في الموطأ، باب ما جاء في التعفف عن المسألة، وأخرجه مسلم في صحيحه مرفوعا من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة باب استحباب العفو والتواضع.

(4)- البيان والتحصيل لابن رشد3/435،436.

بذلك أهل الطول، ويعيب ذلك عليهم"[1]، بل إن الإمام يرى استحباب الإعادة لمن لم يذبح بيده؛ لأن في مباشرة الذبح كمال التواضع والخضوع للّه-تعالى-، يقول الإمام: "إن وجد سعة فأحب إلي أن يعيد، ويذبحها بنفسه صاغرا، فهو من التواضع للّه-سبحانه-"[2]، وقد استحب الإمام للقاضي أن يجلس في مكان يصل إليه الناس كلهم كرحبة المسجد وأشار إلى أنه أدعى للتواضع فقال: "وإني لأستحب ذلك في الأمصار من غير تضييق؛ ليصل إليه اليهودي والنصراني، والحائض والضعيف، وأقرب إلى التواضع للّه-عزو جل-إن شاء اللّه"[3].

وقد حذر الإمام مالك العلماء من طلب الرئاسة، والاغترار بتصدرهم للناس؛ فإنها آفات نفسية تصيب العالم، وطلاب العلم، فتفسد عليهم دينهم يقول الإمام: "ينبغي للرجل إذا خول علما، وصار رأسا يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه، ويمتهن نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرئاسة"[4].

ولما قدم عليه أمير المؤمنين دخل دار الإمام، وطلب منه أن يُخرج الناس فقال له الإمام: "إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة، يا أمير المومنين! من تواضع للّه رفعه اللّه"[5].

---

(1)- البيان والتحصيل لابن رشد3/ 436.

(2)- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني4/320.

(3)- المصدر نفسه 8/ 21.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض2/61.

(5)- المصدر نفسه 2/ 23.

ومن المواقف التي تدل على كمال تواضع الإمام ما كان يجالس به تلاميذه من التواضع، فقد روى أحد تلاميذه حال الإمام معهم فقال: "إذا جلس كأنه واحد منا يبسط معنا في الحديث، وهو أشد تواضعا منا له، فإذا أخذ في حديث رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-تهيبنا كلامه فكأنه ما عرفنا ولا عرفناه"[1].

ومن صور تواضعه أنه لا يرى بأسا في الرجوع عن قول استفتي فيه، فيرجع فيه إلى غيره، مثال ذلك ما روي عن ابن القاسم أنه قال: "كان مالك يقول في النفساء أقصى ما يمسكها الدم ستون يوما، ثم رجع عن ذلك آخر ما لقيناه، فقال: يسأل عن ذلك النساء وأهل المعرفة فتجلس بعد ذلك"[2].

ومن تواضعه أنه كان يحتاط في الفتوى أشد الاحتياط فقد قال: "يأتيني الشامي من شامه، والعراقي من عراقه، والمصري من مصره، فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟"[3]، وقد كان الإمام يكره الإكثار من الفتوى خشية العجب، والغرور وطلب الرئاسة، فقد روي عنه أن رجلا قال له: "إذا قلت أنت يا أبا عبد اللّه: لا أدري! فمن يدري؟ فقال له الإمام: إنما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة"[4].

ومن شدة تواضع الإمام مالك أنه كان يصف بعض المحرمات بألفاظ الكراهة خشية القطع على حكم اللّه-تعالى-

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 2/ 26.

(2)- المدونة 174/1.

(3)- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم 6 /324.

(4)- المصدر نفسه 184/1.

مثل ألفاظ : لا ينبغي، لا يصلح ذلك، فقد قال: "وشغار العبدين مثل شغار الحرين لا ينبغي، ولا يجوز"[1]، وقال أيضا: "لا ينبغي للرجل الحر أن يتزوج الأمة، وهو يجد طولا لحرة إلا أن يخشى العنت"[2]، يقول المازري: "قد وقع لمالك-رضي اللّه عنه-فيما لا يجوز لفظ الكراهية، فيقول: أكره كذا وكذا، وهو عنده من قبيل ما لايجوز"[3]، وذلك من شدة تواضعه وخشيته للّه-تعالى-أن يقطع على حكم بغيرعلم: "فلفظ الكراهة مثلا هي عند المتقدمين رديفة التحريم، وإنما تركوا لفظ التحريم تورعا من أن يتلفظوا بذلك فيما لا يقطعون بتحريمه، أما عند المتأخرين من الأصوليين والفقهاء فلفظ الكراهة قسيم للفظ التحريم، إذ الكراهة ما طلب تركه طلبا غير جازم، بحيث يحمد تاركه، ولا يذم فاعله"[4].

وهذا هو الواجب على الداعية أن يسلكه ويتأسى بالإمام مالك فقد ضرب أروع الأمثلة في هذا الخلق الكريم، فالتواضع من أهم الأسباب في نجاح دعوة الداعية، لأنه مفتاح الداعية إلى قلوب المدعوين على اختلاف طبقاتهم فإنه: "كلما كان الداعية محبوبا لدى المدعوين، كانت استجابتهم لدعوته أكبر، واجتماعهم حوله أكثر، ولا شيء يحبب الداعية إلى المدعوين كالتواضع، لذا أمر اللّه به وحرم ضده وهو التكبر، ولا يظهر التواضع إلا بالاختلاط بالناس لذلك أمر اللّه بهما، قال تعالى:

---

(1)- المدونة 2/ 99.

(2)- المصدر نفسه 2/ 137.

(3)- إيضاح المحصول للمازري 512.

(4)- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس لحاتم باي105.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1]"[2].

[1]- الكهف 28.

[2]- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعدنان عرعور121.

## المبحث الثاني: وسائل وأساليب الدعوة عند الإمام مالك

في البداية لابد من الإشارة إلى الفرق بين الوسائل الدعوية والأساليب، فإن الوسائل تعد الشكل الخارجي لأداء الدعوة إلى المدعوين، والأساليب طريقة عرض لهذا الشكل الخارجي، يقول أحمد عبد الهادي شاهين: "وأما الفرق بين الأسلوب والوسيلة: فالوسيلة هي: الأداة التي عن طريقها يستطيع الداعية أن يبلغ دعوته ويوصلها للناس، سواء كانت حسية أو معنوية، مثل الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة والمناظرة والحوار، أما الأسلوب فهو: طريقة الأداء التي عن طريقها يبلغ الدعوة مثل:القدوة، والموعظة، والتدرج، والترغيب والترهيب فالوسيلة هي الأداء، والأسلوب طريقة الأداء"[1].

[1]- وسائل الدعوة وأساليبها لأحمد عبد الهادي شاهين 8،9.

## المطلب الأول: الوسائل الدعوية

الوسائل جمع وسيلة، والوسيلة من معانيها الرغبة والطلب، فقد ذكر ابن فارس أن من معاني الوسيلة: "الرغبة والطلب يقال: وسل إذا رغب، و الواسل: الراغب إلى اللّه-عزوجل-"[1]، وجاء في لسان العرب: "والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل"[2].

أما الوسائل اصطلاحا فيدور معناها في علم الدعوة على الأدوات التي يستعملها الداعية للوصول إلى المدعوين، فقد عرفها عبد الكريم زيدان بقوله: "ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى اللّه على نحوٍ نافع مثمر"[3]، وقال علي عبد الحليم محمود في تعريفها: "هي العمل الذي يقوم به الداعي إلى اللّه، فيحقق به أهداف الدعوة"[4]، وعرفها البيانوني بقوله: "ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية"[5].

ولا شك أن الدعوة إلى اللّه-تعالى-تحتاج إلى وسائل متعددة تناسب حال المدعوين في كل زمان ومكان، فالوسائل تتجدد حسب العصر الذي يعيش فيه الداعية، ومن أهم الوسائل الدعوية التي سلكها الإمام مالك ما يأتي:

---

(1)- مقاييس اللغة لابن فارس 6 /110.

(2)- 724/11.

(3)- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان 447.

(4)- فقه الدعوة إلى الله لعلي عبد الحليم محمود 215.

(5)- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني الدعوة 282.

## الوسيلة الأولى: التعليم

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين مكانة العلم وفضل العلماء، منها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وقد اهتمت السنة النبوية بشأن التعلم والتعليم فقد جاء في الحديث الشريف أنه-صلى الله عليه وسلم-قال: "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[3]، وقال-عليه الصلاة والسلام-: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة"[4].

والواجب على الداعية أن يبدأ بتعليم الناس أحكام دينهم، وتبصيرهم بما وجب عليهم من الأحكام الشرعية، وتذكيرهم بما يترتب عليها في الدنيا والجزاء في الآخرة فالداعية عليه: "إبلاغ الناس وتعليمهم، قبل أن يحاسبهم ويصدر الأحكام عليهم، ثم يقوم بتنفيذها بلا ورع ولا روية، إن غاية الإسلام هداية الناس وتعليمهم، لا محاسبتهم والحكم عليهم وتنفيرهم"[5].

---

(1)- المجادلة 11

(2)- آل عمران 164.

(3)- أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

(4)- أخرجه أبوداود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على العلم.

(5)- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعدنان عرعور 195.

وقد كان الإمام مالك معلما مربيا في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، نذر عمره لتعليم الناس وتبصيرهم بأمور دينهم، فقضى جل عمره بين دروس العلم والإرشاد في المسجد النبوي ومنزله، فكان عالما داعية يعلم الناس ويوجههم إلى الخير، ويبين لهم ظلمات الشر وطريقها، فقد كان التعليم من أهم الوسائل الدعوية التي سلكها الإمام مالك في الدعوة إلى الله- تعالى- ، فاتخذ مجلسا له ينشر فيه علومه المختلفة في الحديث والفقه، وكان يوصي تلاميذه بالحرص على تعليم ما تعلموه، وبثه في الناس وعدم كتمانه، فمن أتم منهم السماع من الإمام وعزم على الرحيل إلى مصره كان يوصيه بقوله: "اتقوا الله في هذا العلم، ولا تنزلوا به دار مضيعة، وبثوه ولا تكتموه"[1].

ويؤكد الإمام لتلاميذه تعليم ما تعلموه فيخاطبهم قائلا: "الناس في العلم أربعة: رجل علم فعمل به فمثله في كتاب الله قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِن عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[2]، ورجل علم به ولم يعلمه فمثله في كتاب الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[3]، ورجل علم علما وعلم ولم يعمل به، فمثله في كتاب الله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾[4]"[5].

ولهذا فقد حرص الإمام على الجلوس سنوات يعلم الناس على اختلاف طبقاتهم ومداركهم، كل يأخذ منه ما يسأل عنه من

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض2/65.

(2)- فاطر 28.

(3)- البقرة 159.

(4)- الفرقان 44.

(5)- ترتيب المدارك للقاضي عياض2/69

أحكام الشريعة، ويرسل الرسائل التوجيهية في درسه فقد قال ناصحا تلميذه ابن وهب: "اتق اللّه! واقتصر على علمك، فإنه لم يقتصر أحد على علمه إلا نفع وانتفع، فإن كنت تريد لما طلبت ماعند اللّه فقد أصبت ما تنتفع به إن كنت تريد بما تعلمت الدنيا فليس في يديك شيء"[1].

وكان الإمام يجل مجلس العلم أعظم الإجلال، فلا يرى في مجلسه اللغط أو اللغو، وكان يعامل المدعوين على مقتضى حالهم، يراعي خصوصية السائل، إذا سأله لا يستفسر عن تفاصيل وقوع مسألته، وأين رأيت ذلك؟ فقد وصف مجلسه بأنه: "مجلس وقار وعلم، وكان رجلا مصيبا نبيلاً، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له: من أين رأيت هذا؟"[2].

وكان الإمام يربي تلاميذه على المحافظة على الوقار والهيبة عند الجلوس للتعلم، فقد أحاط به تلاميذه يوما في غير سكينة ووقار فقام مغضبا ولم يحدثهم، فلما أتوه بالغداة مع السكينة والوقار حدثهم ونبههم على ما وقعوا فيه بالأمس يقول أحد تلاميذه: "فلما كان من الغد جئنا واحدا واحدا وعلينا السكون فحدثنا وقال الذي فعلتم أمس فعل السفهاء"[3].

وكان للغرباء في مجلس الإمام معاملة تخصهم دون غيرهم، فقد كانوا يقبلون عليه في مجلس التعليم فيجيبهم بما يناسب

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 68/2.

[2]- المصدر نفسه 13/2.

[3]- المصدر نفسه 18/2.

حـالهم ويصـبر علـى كثـرة أسـئلتهم واستفسـاراتهم المختلفـة فقـد ورد أنهـم كـانوا: "يسـألونه عـن الحـديث والحـديثين فيجيـبهم الفئـة بعد الفئة"[1].

وهكـذا فقـد حـرص الإمـام علـى هـذه الوسـيلة المهمـة للـدعوة إلـى اللّه-تعـالى-فمكـث أعواما كثيـرة فـي تعلـيم النـاس، ورفـع الجهـل عـنهم ببيـان طريـق الحـق وتبيانـه، وهـذا هـو هـدف الداعيـة تبصـير الناس وتعليمهم لأحكام الإسلام .

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 13/2

**الوسيلة الثانية: التصنيف**

**يعد التصنيف من الوسائل المؤثرة التي يستخدمها الداعية في دعوته، وقد رأى بعض العلماء أن نفع التصنيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، يقول ابن الجوزي[1]: "رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عددًا من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقًا لا تحصى ما خلقوا بعد ، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم"[2].**

**وقد ذكر العلماء أن التصنيف له سبعة أغراض يصنف لأجلها ، جاء في كشف الظنون: "ثم إن التأليف على سبعة أقسام لا يؤلِف عالم عاقل إلا فيها ، وهي إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنف فيصلحه، وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا، أو جمعه إن كان مفرقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل"[3].**

**وقد سلك الإمام مالك في الدعوة إلى اللّه-تعالى-أسلوب التصنيف فصنف في موضوعات شتى، وقد عقد القاضي عياض بابا ذكر فيه تصانيف الإمام مالك فقال: "فمن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية وهو من خيار الكتب في**

---

(1)- هو: "عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله... الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوزي، شيخ وقته، وإمام عصره،... مولده سنة إحدى عشرة، أو اثني عشرة،... وكان مولده ببغداد ،... له مصنفات كثيرة منها: زاد المسير في علم التفسير، تيسير البيان في تفسير القرآن، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، صيد الخاطرتوفي سنة ثلاثين وستمائة. وله ثمانون سنة"الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب460/2،490.

(2)- صيد الخاطر لابن الجوزي241.

(3)-38/1.

هذا الباب، ... ومنها كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر، وهو كتاب جيد مفيد جدا قد اعتمد الناس عليه في هذا الباب...، ومن ذلك رسالة مالك في الأقضية، كتب بها إلى بعض القضاة...،ومن ذلك كتابه في التفسير لغريب القرآن"[1].

فالملاحظ من هذه التصانيف أن موضوعاتها متنوعة في مجالات مختلفة، وهذا يدل على غزارة علم الإمام وتمكنه من علوم شتى، ويعدالموطأ من أعظم المصنفات التي وصلت إلينا من الإمام مالك، فوضعت عليه الشروحات الكثيرة، وصنفت حوله الكتب، وخدم خدمة عظيمة، لما لصاحبه من المكانة العظيمة: "ولهذا يمكن أن يوصف الموطأ بأنه مرحلة هامة في تاريخ العلوم، فهو لا يصور عقلية صاحبه وحسب، وإنما هو ظاهرة علمية تتمثل فيه الثقافة الإسلامية شكلا ومضمونا"[2].

وقد أبدع الإمام مالك في تصنيفه له، ويتضح هذا الإبداع في عدة مظاهر منها حسن عرضه فيه، فقد حاز الإمام قصب السبق في جمعه بين الفقه والحديث في الموطإ، حيث بان تميزه بحسن الابتكار في ترتيبه للموطإ، فقد كان منهجه فيه ذكر المرفوع إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-ثم ذكر تفسيره بآثار الصحابة والتابعين، يقول القاضي عياض: "إنه القدوة في السنن، وهو أول من ألف فأجاد التأليف، ورتب الكتب والأبواب، وضم الأشكال وصنع من ذلك ما اتخذه المؤلفون بعده قدوة وإماما إلى وقتنا هذا في أقطار الأرض، هذا مع صفوة الابتداء وخيرة الاختراع"[3].

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/90،93.

[2]- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان / 189، 190.

[3]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/ 80.

ومن مظاهر الإبداع في الموطأ أنه يذكر الأحاديث المختلفة في الباب ثم يردفها بعمل الصحابة؛ ليبين أن عمل الصحابة يرجح أحد الأحاديث، مثال ذلك: ماصنعه الإمام في باب الوضوء مما مست النار[1]، فقد ذكر الأحاديث المتعارضة في الباب، ثم أردفها بعمل الصحابة بأحد هذه الأحاديث، يقول ابن العربي: "وقد جاء مالك -رحمه الله- بأصل بديع فقال: "ترك الوضوء مما مست النار"، ثم أدخل اختلاف الأحاديث، ثم أدخل عمل الخلفاء بترك الوضوء مما مست النار ، وهي مسألة من أصول الفقه؛ إذا اختلفت الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه- فما عمل به الخلفاء أرجح".[2]

ومن مظاهر الإبداع في الموطإ الجانب اللغوي فقد كانت: "لغة الموطإ متميزة بالاصطفاء الكلمي والجملي والإيحائي، إلى جانب اصطفائه في الموضوعات والمعاني والأحكام، فليست لغة التشريع المقنن، ولا لغة الفقه المعقدة، ولا لغة الأدباء المجنحة، ولا لغة الواعظين المبالغة، فهي تتميز عن ذلك كله؛ لأنها تعبير عن العلم في فقه الإسلام"[3].

وكان الإمام يدرك أهمية وسيلة التصنيف فوضع للناس الموطأ، وما زال الموطإ ينتفع به المسلمون، و يتبوأ مكانته بين المصادر المنقولة إلينا التي جمع فيه الإمام بين الأحاديث المرفوعة والآثار وفتاواه في المسائل المختلفة.

---

(1)- الموطأ، كتاب الوضوء .

(2)- المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك لابن العربي2/ 86.

(3)- الموطآت للإمام مالك لنذير حمدان 338.

## الوسيلة الثالثة: المراسلة

تعد المراسلة من وسائل الدعوة التي انتهجها العلماء قديما وحديثا، قد وتهم في ذلك الرسول-صلى الله عليه وسلم-فقد كان يكتب الرسائل ويبعث بها إلى ملوك الأمصار، يدعوهم إلى الإسلام، فقد أرسل-عليه الصلاة والسلام-كتابا إلى النجاشي وأسلم، وأرسل إلى كسرى في بلاد الفرس، وإلى هرقل عظيم الروم، والمقوقس ملك الإسكندرية ومصر وغيرهم من الملوك[1]: "وقد بلغت كتبه-صلى الله عليه وسلم-ورسائله أكثر من خمسين رسالة"[2]، وقد كان السابقون أكثر اهتماما بإرسال الرسائل لما لها من تأثير على النفوس فهي: "من الأساليب التي مارسها رجال التربية والتعليم والدعوة على مر العصور بدءا بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وإلى العصر الحاضر، لاسيما إذا تعذرت وسائل الاتصال واللقاء بين المعلم والمتعلمين، وتباعدت بيئاتهم وكثرت مشاغلهم، وكان السابقون يحصلون على العلم بطريقتين: هي الرحلة والالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم، أو عن طريق المراسلة، إما أن يرسل المعلم رسالة علمية تتضمن المسائل العلمية إلى الآخرين، أو يرسل التلاميذ وأفراد المجتمع بعض الأسئلة إلى العالم"[3].

وقد سلك الإمام مالك هذه الوسلية في الدعوة إلى الله-تعالى-فاشتهرت له عدة مراسلات إلى العلماء والولاة وطلبة العلم،

---

[1]- ينظر الفصول في السيرة لابن كثير 226،227.

[2]- فقه الدعوة إلى الله لعلي عبد الحليم محمود185.

[3]- منهج الإمام مالك في التعليم والتربية، لحذيفة عبود السامرائي، مؤتمرالجامعة الأسمرية735.

وقد حوت الكثير من النصائح والفوائد والأحكام المبينة للنصوص الشرعية، وقد نص بعضهم على أن الإمام هو أول من سلك المنهج العلمي في الرسائل العلمية: "يكاد الإمام مالك أن يكون هو أول من اختط أسلوب الرسائل العلمية المرسلة لأشخاص معينين، سواء كانوا علماء أو حكاما، كرسالته إلى الليث بن سعد، ورسالته إلى هارون الرشيد، وهذه الرسائل أسلوب من أساليب نشر الدعوة والعلم، وهي تتضمن موضوعات متعددة على جهة وصايا أو مواعظ أو تحقيق في مسائل معينة"[1].

ومن أشهر الرسائل والمراسلات التي بعث بها الإمام رسالته إلى الليث بن سعد فقد: "اشتهر في التاريخ رسالة فقهية بعث بها الإمام مالك إلى الليث بن سعد، وهذه الرسالة تعد نموذجا رائعا من نماذج الحوار العلمي الذي يدور بين قطبين من أقطاب الفقه والعلم في الأمة الإسلامية"[2]، وعند قراءة مقدمة الرسالة يتجلى أسلوب الإمام في الرفق واللين، ومعرفة مكانة العلماء وتقديره لهم، فقد جاء في مقدمتها: "من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية وعافانا وإياك من كل مكروه،.. وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك"[3].

---

(1)- دراسة وتحقيق رسالة الإمام مالك إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد لرياض مصطفى ومحمد رضوان373.

(2)- الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة 109.

(3)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 41/1، 42.

ومن هذه المراسلات رسالة الإمام مالك لتلميذه ابن وهب، يقول القاضي عياض: " فمن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية، وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشّأن- رحمه اللّه- ، وقد حدثنا بها غير واحد من شيوخنا بأسانيدهم المتصلة إلى مالك- رحمه اللّه-"[1].

ومنها رسالته في الأقضية كتب بها إلى أحد القضاة، ورسالة في الفتوى، ورسالة إلى خليفة المسلمين هارون الرشيد في الآداب والمواعظ وقد: "اتبع الإمام مالك المنهجية في ترتيب رسالته وعطف الموضوعات بعضها على بعض وتنسيقها، فالرسالة أشبه ما تكون ببرنامج يومي متكامل، وهي أشبه بعرض موضوعي لمبادئ الإسلام وتكاليفه بدءا بالصلاة ثم الصيام ثم الزكاة ثم الحج وهكذا"[2].

هذه أهم ما اشتهر عن الإمام من مراسلات فقد حوت الكثير من الأساليب الدعوية والفوائد العلمية، فانتفع بها الناس وتقبلوها من الإمام لمكانته المؤثرة في الأمة الإسلامية.

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1 / 90.

[2]- دراسة وتحقيق رسالة الإمام مالك إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد لرياض مصطفى ومحمد رضوان372.

## الوسيلة الرابعة: المناظـــرة

المنـاظرة فـي اللغـة مـن النظـــر والمقابلـة، جـاء فـي المعجـم الوسـيط: "تنـاظر القـوم نظـر بعضـهم إلـى بعـض وفـي الأمـر تجـادلوا وتراوضـوا، ويقـال: دورهـم تتنـاظر تتقابـل، والمنـاظر المجـادل المحـاج والمثل"[1].

أمـا اصـطلاحا فقـد عرفهـا علـي عبـد الحلـيم محمـود بقولـه: "هـي حـوار بـين اثنـين أو أكثـر، حـول قضـية مـن القضـايا، يبـدي كـل طـرف مـن أطـراف الحـوار وجهـة نظـره فـي الموضـوع المطـروح للمنـاظرة، بهـدف إحقـاق الحـق، والـدفاع عنـه بالحجـة والبرهـان"[2]، وعرفهـا غيـره بقولـه: "بيـان مـا عنـد كـل طـرف مـن الصـواب أو الحـق، ودحـض مـا عنـد الطـرف الآخـر مـن الخطـإ والباطـل، علـى طريقـة السـؤال والجـواب، لأجـل الإلـزام والإفحـام والإحـراج وهـي: أدق صـور المجادلة وأصعبها، وتحتاج إلى فن خاص فوق العلم والفقه"[3].

وقـد كـان الإمـام مالـك أحـد العلمـاء المتفـق علـى إمامتـه فـي العلـم والخلـق، صـاحب رأي مسـتقل، فكـان النـاس يـأتلفون إليـه وينهلـون مـن علمـه وخلقـه، ويحرصـون علـى الاجتمـاع معـه، فيسـمعون كلامـه ويتـأثرون بأقوالـه ومذهبـه، وقـد كـان للإمـام القـدرة علـى مقابلـة خصـمه بالحجـة والبيـان، والحكـم لـه بالعـدل، فـلا يثـأر لنفسه ولا يتعصب لرأيه، متمسكا بالكتاب والسنة.

---

[1]- المعجم الوسيط 2 / 932.

[2]- فقه الدعوة إلـى الله لعلي عبد الحليم محمود 182.

[3]- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصرلعدنان عرعور402.

وكان من منهجه كرهه للمناظرة التي يكون هدفها الغلبة والمراء، لاسيما في العقيدة كما مر معنا في هذا البحث، أو كان الهدف من المناظرة المراء والشقاق، فإن الإمام يترفع عنها، فقد طلب من الإمام أن يناظر أبا يوسف فرفض الإمام وقال: "إنما حسبته مسترشدا! وأظنه إنما يسأل معنتا فلا أجيبه"[1]، ثم صرح الإمام بكلمة تعد ميزانا لمن أراد أن يتجادل أويناظر غيره فقال: " إن العلم ليس كالتحرش بين البهائم والديكة"[2].

أما إذا كانت المناظرة لبيان الحق وإظهاره فإن الإمام يدلي بأقواله وآرائه التي يتبناها فقد: "كان مالك يأتي مكة في الموسم، ويلتقي بالعلماء يبحث معهم ويبحثون معه، فقد التقى بأبي حنيفة، وبالليث بن سعد، وبالأوزاعي، وبأبي يوسف، ومحمد وكّلهم له عنده مسألة، أو هو له عندهم مسألة، وبمثل هذا يحيا العلم وتتفتح القرائح"[3].

وهذه المناظرات التي تقع بين الفقهاء وطلبة العلم كان هدفها بيان الحق والالتزام به وليس التناحر والشقاق بينهم: "ولعله ما كان يعتبر تلك المناظرات التي يقصد بها إلى طلب الحق المجرد من قبيل الجدل الذي نهي عنه؛ لأن الأولى لا يقصد منها الغلب واجتياز المجالس، بل يقصد بها طلب الحق، وهي خالية من المراء وتحري الغلط، بل تحري الحق والإخلاص يسودها"[4].

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض2/ 119.

(2)- المصدر نفسه2 /119.

(3)- مالك الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر59.

(4)- مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه لأبي زهرة130.

وقد عقد القاضي عياض باباجاء فيه: أخبار مالك مع العلماء ومناظرته معهم[1]، وساق مجموعة من مناظرات الإمام مالك مع العلماء، فذكر مناظرته مع أبي يوسف في عدة مسائل ذكرها بتمامها، وكذلك مناظرة محمد بن عجلان[2] للإمام مالك، ومناظرته في مكة المكرمة لعمربن قيس[3]، ومناظرة أبي عبدالرحمن السروجي[4]، حيث جلس بين يدي الإمام وناظره في مسألة من المسائل الفقهية[5].

وهكذا كان الإمام مالك لا يدع وسيلة من وسائل الدعوة المتاحة في زمانه إلا سلكها في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الناس على اختلاف طبقاتهم، وهذا الواجب على الداعية ألا يدع وسيلة متاحة إلا اتخذها سبيلا للدعوة إلى الله-تعالى-.

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 1 /113.

(2)- هو: "محمد بن عجلان المدني، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، من الخامسة مات سنة ثمان وأربعين ومائة خت"تقريب التهذيب لابن حجر496.

(3)- هو: "عُمَر بن قيس المكي، أبو حفص المعروف بسندل،... متروك الحديث، لم يكن حديثه بصحيح، أحاديثه بواطيل" تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي489/21.

(4)- هو: "معمر بن مخلد السروجي بضم المهملة والراء وبعد الواو الساكنة جيم، ويقال معمر بالتشديد ، ثقة من العاشرة، مات بملطية سنة إحدى وثلاثين س" تقريب التهذيب لابن حجر 541.

(5)- ينظر ترتيب المدارك للقاضي عياض 121،128.

## المطلب الثاني: الأساليب الدعوية عند الإمام مالك

الأساليب جمع أسلوب والأسلوب كلمة تدل على الفن والطريق، جاء في لسان العرب: "الأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم: الفن"[1]، وفي المعجم الوسيط: "الأسلوب الطريق، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته والفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول فنون متنوعة، والصف من النخل ونحوه، ج :أساليب"[2].

أما الأساليب في الاصطلاح فهي الشكل والإطار للوسائل الدعوية التي يتوصل بها الداعية إلى المدعوين، وقد عرفها عبدالكريم زيدان بقوله: "هي طريقة أو كيفية أو فن يسلكه الداعية في سبيل تبليغ دعوته؛ بغية التأثير والإقناع"[3]، وعرفها محمد أبو الفتح البيانوني بقوله: "هي الطرق التي يسلكها الداعية في دعوته، أوكيفيات تطبيق مناهج الدعوة"[4].

وقد سلك الإمام مالك عدة أساليب واضحة متعددة في الدعوة إلى الله-تعالى-فكان لها الأثر البين على المدعوين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، وقد جاءت هذه الأساليب على النحو الآتي:

---

(1)- 1 /473.

(2)- 1 /441.

(3)- أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان 411.

(4)- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني47.

## الأسلوب الأول: الترغيب والترهيب

المراد بالترغيب والترهيب في علم الدعوة هو: "كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ونقصد بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[1].

وأسلوب الترغيب والترهيب له أثر كبير في قلوب المدعوين؛ لأن اللّه-تعالى- فطر نفوس البشر على الرغبة في طلب السعة والراحة، وحب النعيم وحسن العاقبة، والخوف من الشقاء والألم وسوء العاقبة، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد كان المنهج الدعوي فيهما مقرونا بالترغيب والترهيب في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، ومن السنة قوله- صلى اللّه عليه وسلم-: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا:

---

(1)- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان437.

(2)- محمد 12.

(3)- نوح1.

يا رسول اللّه! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[1].

والواجب على الداعية أن يهتم بأسلوب الترغيب والترهيب أشد الاهتمام، فيذكر المدعوين بآيات الترغيب في الأعمال الصالحة فتنشط نفوسهم لفعله، ويذكرهم بآيات الترهيب فيكفواعن أنواع الرذائل، وقد كان الإمام مالك متأثرا بأسلوب القرآن والسنة النبوية، ويظهر هذا التأثير في قوله: "يستحب للرجل إذا دخل منزله أن يقول: ما شاء اللّه لا قوة إلا باللّه، وهو في كتاب اللّه-عزوجل-"[2]، فقد كان الإمام: "الشخصية المتأثرة بأسلوب القرآن في الترغيب والترهيب، والقدرة على تصوير الأمور على حقيقتها"[3].

ويتضح تأثير الإمام بأسلوب القرآن في الترغيب والترهيب بما ورد عنه في كتابه الموطأ وما نقل عنه من الآثار، فقد ساق الإمام أبوابا في الموطأ صدرها بكلمة الترغيب، ثم يورد مجموعة من الأحاديث الواردة في الباب.

من هذه الأبواب ما ذكره في باب جامع الترغيب في الصلاة، فقد أورد فيه حديثين جاء في الحديث الأول: عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه: سمع طلحة بن عبيد اللّه يقول: جاء رجل إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-من أهل نجد، ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل

---

(1)- أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-.

(2)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني 163.

(3)- دراسة وتحقيق رسالة الإمام مالك إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد لرياض مصطفى ومحمد رضوان370.

عن الإسلام، فقال له رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-: "خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل علي غيرهن؟ قال:لا إلا أن تطوع، قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-:وصيام شهر رمضان، قال: هل علي غيره؟ قال:لا إلا أن تطوع، قال: وذكر رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم-الزكاة فقال:هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، قال:فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه، فقال رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: "أفلح الرجل إن صدق"[1].

وقد أشار ابن العربي إلى نكتة في تبويب الإمام مالك فقال: "انظروا إلى فقه مالك-رحمه اللّه-إنه ذكر"جامع الترغيب" فإنه أراد بهذا الصلاة وغيرها، ولم يذكر فيه إلا الصلاة لما ذكر"جامع الترغيب"[2].

وبوب الإمام في الموطإ باب الترغيب في الجهاد يقول ابن العربي معلقا على تبويب الإمام مالك:" قال علماؤنا: إنما بوب مالك-رحمه اللّه-في معنى الترغيب ليعلم الناس بجزيل ثوابه ليرغبوا فيه، وأكثر ما يوصف بالرغائب ما قصر عن رتبة الوجوب، إلا أنه لم يقصد الوصف له هنا بوجوب ولا غيره، وإنما قصد الحض على فعله"[3].

وذكر الإمام أبوابا أخرى تحث على الترغيب من هذه الأبواب: باب الترغيب في الصلاة في رمضان، وباب الترغيب في

---

[1]- الموطأ، باب جامع الصلاة، باب جامع الترغيب في الصلاة.

[2]- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي 3 /244.

[3]- المصدر نفسه 12/5.

القضاء بالحق، وباب الترغيب في الصدقة، وهذا الصنيع من الإمام يبين مدى اهتمام الإمام مالك بالترغيب وأثره في تحريك مشاعر المكلفين.

وقد وردت عن الإمام كلمات ترغب في فعل الأعمال الصالحة، منها قوله في الحث على التمسك بالقرآن الكريم قوله: "إن استطعت أن تجعل القرآن إمامًا فافعل فهو الذي يهدي إلى الجنة"[1].

ومما ورد عنه في باب الترهيب قوله لما سئل عمن مات وعليه دين فقيل له: "أرأيت الرجل يموت ولك عليه دين لا وفاء له به؟ قال: أفضل عندي أن أحلله، وأما الرجل يظلم الرجل، وفي رواية أخرى يغتابه وينتقصه، فلا أرى ذلك، قال الله عز وجل:﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾"[2]، وقال زاجراعن الربا: "ولا يعامل من يعمل بالربا من المسلمين"[3].

وكان الإمام يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب مع الناس جميعا، سواء أكانوا من الولاة أم غيرهم من عامة الناس، فقد أرسل إلى أميرالمؤمنين يناصحه بقوله: "فإني كتبت إليك بكتابٍ لم آلك فيه رشدا، ولم أدخرك فيه نصحا، تحميدا للّه، وأدبا عن رسوله صلى-اللّه عليه وسلم- ، وأوعه فيه بصرك وسمعك فتدبره بعقلك، ثم اعقله بقلبك، وأحضره فهمك، ولا

---

(1)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني165.

(2)- المصدر نفسه159.

(3)- المصدر نفسه190.

تغيبن عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة"[1].

ثم استعمل معه أسلوب الرهيب فقال له مخاطبا: "اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه، وما هو نازل بك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت، من العرض على الله-سبحانه-، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب"[2].

هكذا كان الإمام مالك لا يألوا جهدا في استعمال أسلوب الترغيب والترهيب، فالواجب على الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب؛ لأن النفس البشرية تميل إلى من يرغبها وتنفر عما ترهب منه.

---

[1]- دراسة وتحقيق رسالة الإمام مالك إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد لرياض مصطفى ومحمد رضوان403.

[2]- المصدر نفسه 403.

## الأسلوب الثاني: القدوة

تعد القدوة الحسنة من أعظم الأساليب التي يجب على الداعية أن يتحلى بها، فهي سبب لجذب الناس إليه لما يرونه من مطابقة أعماله لأقواله التي يسمعونها منه فهي: "من الوسائل المهمة جدًا في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، فالسيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما تجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها ويتجذبون إليها؛ لأنّ التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط"[1].

وهذا هو المنهج الذي سلكه الأنبياء فقد كانوا قدوة لأقوامهم فقد قال شعيب-عليه السلام-مخاطبا قومه: ﴿وَمَاأُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَاأَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[2]، وقال الله-تعالى-مذكرا أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-بأنه القدوة الحسنة لها فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[3].

وقد سلك الإمام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله-تعالى-فقد كان قدوة عملية للمدعوين على اختلاف درجاتهم، فقد كان متمثلا بما يرويه عن الصحابة والتابعين مقتديا بهم، يقول الإمام مالك: "وكان ابن هرمز قليل الكلام قليل الفتيا، وكان

---

[1]- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان485.

[2]- هود 88.

[3]- الأحزاب 21.

ممن أحب أن أقتدي به، وكان بصيرا بالكلام، وكان يرد على أهل الأهواء، وكان أعلم الناس بما اختلف الناس فيه من ذلك"[1].

وقد اتخذ الإمام مالك من القدوة إحدى طرق التدريس، وفي ذلك يقول ابن القاسم عندما ذكر كيفية التيمم عن مالك: "هكذا أرانا مالك ووصف لنا"[2].

وكان الإمام مالك يروي إلى تلاميذه تساؤلاته التي سألها لمشايخه، ليتأثر بها طلابه ويوجهون له الأسئلة مقتدين به، يقول الإمام: "وقد سألت عن ذلك غير واحد من أهل العلم فلم يروا به بأسا"[3]، ويقول أيضا: "سألت ابن شهاب عن ظهار العبد قال: أراه نحو ظهار الحر يريد ابن شهاب أن ذلك يقع عليه إذا فعله كما يقع على الحر"[4]، ويقول أيضا: "سألت ابن شهاب كيف غسل عامر لسهل حين أصابه بالعين؟، فقال: غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره، قال: ثم صب على سهل بن حنيف فراح ليس به بأس"[5].

فكان الإمام قدوة لتلاميذه يسألونه عن كل شيء، فقد كان ابن القاسم يروي هذه الأسئلة التي يوردها على الإمام مالك فقد جاء في المدونة: "وسألت مالكا عن المجنون يخنق؟ قال: أرى

---

(1)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني 149.

(2)- المدونة 88/1.

(3)- الموطأ، كتاب البيوع، باب ما يكره من بيع الطعام إلى أجل.

(4)- المدونة 100/5.

(5)- الجامع لابن وهب731.

عليه الوضوء إذا أفاق"[1]، وقال أيضا: "وسألت مالكا عمن نكس وضوءه فغسل رجليه قبل يديه، ثم وجهه ثم صلى، قال: صلاته مجزئة عنه، قال: قلت له: أترى أن يعيد الوضوء؟"[2]، ويقول أيضا: "وسألت مالكا عن البئر القليلة الماء، أو ما أشبه ذلك يأتيها الجنب وليس معه ما يغرف به وفي يديه قذر"[3] .

وقد كان للإمام الأثر الكبير في سلوك تلاميذه كلهم، فاتخذوه لهم قدوة حسنة يقول ابن وهب: "الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه"[4]، وقد كانوا يثنون الركب عند الإمام مالك يطلبون التأسي بأخلاقه وسمته؛ لأنهم يرون فيه ترجمة عملية لما سمعوه عن الصحابة والتابعين، يقول أحد تلاميذه: "أقمت عند مالك بن أنس بعد كمال سماعي منه سنة، أتعلم من هيئته وشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين"[5]، ولما أتم أحد تلامذته أخذ العلم والسماع من الإمام أقام عنده، فقيل له في ذلك فقال: "إنما أقمت مستفيدا لشمائله فإنها شمائل الصحابة والتابعين"[6].

وقد كان الإمام يسلك مع عامة الناس التغيير بالقدوة فقد: "رأى مالك فتى يمشي مشية منكرة، فقام مالك فجعل

---

(1)- 88/1.

(2)- المدونة 1 /92.

(3)- المصدر نفسه123/1.

(4)- ترتيب المدارك للقاضي عياض127.

(5)- المصدر نفسه171/1.

(6)- المصدر نفسه1 /128

**يمشي على جنبه يحكيه، فوقف الفتى، فقال له مالك: مشيتي حسنة؟ قال: لا، قال فلم تمشيها أنت؟ قال لا أعود"[1] .**

[1]- **المصدر نفسه** 2/ 144.

## الأسلوب الثالث: الموعظة الحسنة

جاء في تعريف الموعظة الحسنة بأنها: "التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل"[1].

وتعد الموعظةالحسنة من أهم الأساليب التي يجب على الداعية أن يتحلى بها؛ لأثرها الكبير على المدعوين، وقد دعا القرآن الكريم إلى الالتزام بها فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]، جاء في تفسير القرآن العظيم: "يقول-تعالى-آمرا رسوله محمدا-صلى الله عليه وسلم-أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة..، وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[3].

ويقول ابن عاشور: "والموعظة: القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير، وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها،...وعطف الموعظة على الحكمة لأنها تغاير الحكمة بالعموم والخصوص الوجهي، فإنه قد يسلك بالموعظة

---

[1]- التعريفات للجرجاني 132.

[2]- النحل 125.

[3]- تفسير القرآن العظيم لابن كثير4/526.

مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل"[1].

وقد كان الإمام مالك ذكيا فطنا، يحمل عقلا راجحا، حتى إن شيخه ربيعة وصفه بالعاقل، فكان إذا دخل عليه الإمام مالك يقول: "جاء العاقل"[2]، لذلك كان الإمام يعرف مخاطبة الناس ويأسر قلوبهم إلى الحق، وقد وضع الإمام قاعدة في كيفية معاملة الناس ودعوتهم، فالواجب على الدعاة أن يتحلوا بهذه القاعدة في معاملة المدعوين يقول الإمام مالك : "والفظاظة مكروهة، يقول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿فقولا له قولًا ليِّنًا﴾[4]"[5]، والمراد بالفظاظة الغلظة في الكلام، جاء في لسان العرب أنها: "اللفظ: الخشن في الكلام، وقيل: اللفظ الغليظ"[6]، وقد نهى الإمام مالك عن كل ما يخالف اللين في القول لذلك نهى: "الصياح في العلم وكثرة اللغط"[7].

وقد سلك الإمام مالك هذا الأسلوب مع كل الناس مع اختلاف طبقاتهم، مع الولاة وغيرهم من أفراد المجتمع، يقول الإمام مالك-رحمه الله-: "حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه، أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على

---

(1)- التحرير والتنوير لابن عاشور14/327.

(2)- ترتيب المدارك للقاضي عياض1/127.

(3)- آل عمران 159.

(4)- طـــــه 44.

(5)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني171.

(6)- 7 /451.

(7)- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني 149.

غيره، لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل"[1]، وثبت عنه أنه خاطب بعض الخلفاء فقال له: "اعلم أن اللّه-تعالى-قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديما، وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون اللّه-تعالى-جعله لك سعادة وأمرا جعل به سبيلك إلى الجنة فلتكن-رحمنا اللّه وإياك-فيما كتبت إليك مع القيام بأمر اللّه وما استدعاك اللّه في رعيته فإنك المسؤول عنهم صغيرهم"[2].

وإذا كان المدعوون من عامة الناس فإن الإمام يخاطبهم بالأسلوب الواضح والعبارة السهلة المفهومة المتداولة بينهم وبالموعظة الحسنة، فقد جاء رجل إلى مالك فقال: "إن الأهواء كثرت قبلنا، فجعلت على نفسي إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرني به، فوصف لي مالك شرائع الإسلام: الصلاة والصوم والحج، ثم قال: خذ بها ولا تخاصم أحدا"[3]، وسأله أحدهم عن طلب العلم أفريضة هو؟: "قال: لا، ولا يطلب إلا ما ينتفع به، ولا يطلب الأغاليط والإكثار"[4].

ومن أسلوب الموعظة الحسنة التي يستعملها الإمام مع الناس ذكره للصفات الحسنة والمكانة الرفيعة للمدعوين، فقد خاطب الإمام مالك الليث بن سعد قائلا: "وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك، حقيق بأن

---

(1)- ترتيب المدارك للقاضي عياض 95/2.

(2)- المصدر نفسه107/2.

(3)- االمصدر نفسه2/ 47.

(4)- المصدر نفسه61/2.

تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن اللّه-تعالى-يقول في كتابه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلمُهَٰجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ﴾"[1].

ومن أسلوب الموعظة الحسنة التي استخدمها الإمام حرصه على الدعاء للمدعوين، فقد جاء رجل إلى بيت مالك فأشار إليه مالك أن اجلس في هذه الناحية من المنزل، فجلس عند غيرها فقال له مالك: "يرحمك اللّه! كنا أبصر بعوار منزلنا منك"[2].

وقد جاء في مقدمة رسالته لليث بن سعد: "أما بعد عصمنا اللّه وإياك بطاعته في السر والعلانية وعافانا وإياك من كل مكروه، اعلم رحمك اللّه! "[3]، وجاء في آخرها :"فانظر-رحمك اللّه-فيما كتبت إليك فيه لنفسك واعلم أني أرجو أن لا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة للّه-تعالى-وحده، والنظر لك والظن بك، فأنزل كتابي منك منزلته، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحا، وفقنا اللّه وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال"[4].

ومن أسلوب الموعظة الحسنة عند الإمام مالك استعماله للتشبيه وضرب الأمثال فقد روي عنه أنه: "دخل يوما على الرشيد فحثه على مصالح المسلمين وقال له: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه-كان في فضله وقدره ينفخ لهم عام الرمادة النار

---

[1]- ترتيب المدارك للقاضي عياض41/1.
[2]- المصدر نفسه145/2.
[3]- المصدر نفسه41/1.
[4]- المصدر نفسه1/ 43.

تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته- رضي الله عنه- وقد رضي الناس منكم بدون هذا"[1].

هذه بعض الأساليب الأصلية التي استعملها الإمام مالك في الدعوة إلى الله-تعالى-في الزمن الذي عاصره، ولا شك أن هذه الأساليب تتطور على مر الزمن إلا أن الأساليب الأصلية لا تتغير، فالواجب على كل داعية أن يتحلى بها في دعوته؛ لتكون لها الأثر الواضح على المدعوين.

[1]- الديباج المذهب لابن فرحون 1/ 127.

# الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أصل إلى الخاتمة؛ وأقسمها إلى نتائج وتوصيات:

## أولا: النتائج

- إن البيئة التي ينشأ فيها الداعية لها الأثر الكبير في بناء شخصيته الدعوية، فإن نشأ على طلب العلم كان ملازما له جل حياته، وهذا ما عاش عليه الإمام مالك، فقد نشأ على طلب العلم وشب على ذلك.
- كان للإمام مالك -رحمه الله تعالى- أثر عظيم على المسلمين في شتى البلدان، فقد ملأت دروسه ومؤلفاته وفتاويه أصقاعًا كثيرة من الأمصار.
- إن الظروف التي تهيأت للإمام مالك أسهمت في بناء شخصيته، وأخرى اكتسبها الإمام باجتهاده وحرصه، جعلت منه أحد الأئمة المعروفين.
- أهم الأسباب التي أسهمت في بناء شخصية الإمام وتكوينه ثلاثة أسباب أولها: أسرته، وثانيها: إقامته في المدينة المنورة، وثالثها: توجيهه إلى طلب للعلم منذ نعومة أظفاره.
- الإمام مالكا لم يتأهل للمكانة التي تبوأها من العلم إلا بعد أن اكتسب عوامل كثيرة عود نفسه عليها أهم هذه العوامل: جُلوسه بين يدي العلماء، وجمعه بين الفقه والحديث، والتحري والتدقيق، وكراهيته للجدل والمراء، والشجاعة في قول الحق.
- الإمام مالك كغيره من علماء القرون الأولى جمع بين العلوم المختلفة فهو الفقيه والمحدث واللغوي، وهذه العلوم جعلت من

الإمام داعية يسلك طرقها، ويعبر عن أساليبها قبل أن يوضع لهذا العلم قواعده ومناهجه المتنوعة.

- إن للإمام مالك منهجا واضحا في الدعوة إلى اللّه-تعالى-سلكه بين المدعوين مع اختلاف طبقاتهم.
- سلك الإمام مالك منهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى اللّه-تعالى-فكان لها الأثر على أفراد المجتمع.
- إن علماء المذهب المالكي اختلفوا في حصر عدد أصول الإمام مالك؛ لاختلاف طرقهم في استنباط أصول الإمام.
- الإمام مالك مارس الدعوة عمليا من خلال التطبيقات الفقهية العملية.
- إن الصفات الدعوية التي تميز بها الإمام مالك كان لها الأثر على المدعوين من أبرز هذه الصفات: منهجيته في طلب العلم، ومنهجته في الصبر على مشاق الدعوة .
- الوسائل الدعوية التي سلكها الإمام في الدعوة إلى اللّه-تعالى-هي: التعليم، و التصنيف، و المراسلة، و المناظرة.
- أبرز الأساليب الدعوية التي اتصف الإمام هي: أسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب القدوة، وأسلوب الموعظة الحسنة.

## ثانيا: التوصيات

- يوصي الباحث بدراسة سيرة العلماء-لاسيما علماء المذهب المالكي-واقتفاء أثرهم واستخراج مناهجهم في الدعوة إلى اللّه-تعالى-، والوقوف على الجوانب الدعوية من حياتهم وسيرتهم.
- يوصي الباحث القائمين على الجامعات والكليات المتخصصة في الدعوة تدريس مناهج العلماء والفقهاء في الدعوة؛ ليكون لدعوتهم الأثر على المدعوين.
- يوصي الباحث إلى ضرورة دراسة أصول الإمام مالك وربطها بعلم الدعوة للاستفادة من منهج الإمام-رحمه اللّه تعالى-.
- يوصي الباحث الدعاة باتباع منهج الإمام مالك في الدعوة إلى اللّه-تعالى-ليكون لهم الأثر في مجتمعاتهم .

## المصادر والمراجع:


1-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة 1443هـ.

2-أئمة الفقه الإسلامي، عبدالحليم الجندي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، بلا تاريخ الطبعة.

3-إبطال الحيل، أبو عبد اللّه عبيد اللّه بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية 1403هـ.

4-أثر الإمام مالك وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي، عبدالرحمن العمري الصاعدي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة، العدد8، 1437هـ.

5-أساليب الدعوة والإرشاد، محمد أمين حسن، جامعة اليرموك، 1999م.

6-الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبد الرحيم محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1431هـ-2010م.

7-أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس، تأليف: ابن خلفون الأندلسي، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الإسلامية، المركز الإسلامي للطباعة، الجيزة، بلا تاريخ.

8-إرشاد السالك إلى مناقب مالك، تأليف: يوسف بن حسن بن عبدالهادي المعروف بابن المبرد، دراسة وتحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م.

9-الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، تحقيق: د. محمد

سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
10- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى-1415هـ.
11-أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة، 1421هـ-2001م.
12-الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها الفقه المالكي، حاتم باي، مجلة الوعي الإسلامي، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، الإصدار العشرون، 1432هـ 2011م.
13-الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة، 2002م.
14-الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، عبد الغني الدقر، الطبعة الثالثة، دارالقلم، دمشق،1410هـ، 1989م.
15-انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك، تأليف: شمس الدين محمد الراعي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م.
16-أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي المدني، اعتنى به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، الطبعة الأولى، دارالقلم، دمشق، 1424هـ، 2003م.
17-بُغْيَةِ الْمُلْتمِس فِي سُبَاعِيَّاتِ حَدِيثِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَس، تأليف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي الدمشقي العلائي، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى،1405هـ-1985م.

18-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413هـ-1993م.
19-التاريخ الأوسط، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث -حلب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397هـ-1977م.
20-تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: 1425هـ، 2004.
21-تاريخ الرسل والملوك، تأليف، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، ويليه: صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطبي، ويليه: تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمذاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية1387هـ-1967م.
22-التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، بلا تاريخ الطبعة.
23-التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
24-التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس، حاتم باي، مجلة الوعي الإسلامي، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، الإصدار التاسع عشر 1432هـ 2011م.

25-تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى،1419هـ- 1998 م
26-تذكرة الحفاظ"أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان" تأليف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي، المعروف بابن القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى 1415 هـ-1994م.
27-ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق:جزء 1: ابن تاويت الطنجي، 1965 م، و جزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م، وجزء 5: محمد بن شريفة، وجزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م، الناشر: مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة: الثانية 1403 هـ .1983م.
28-تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، الطبعة الأولى، 1431هـ، 2010م.
29-التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تأليف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، تحقيق: د. أبو لبابة حسين الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى،1406هـ-1986م.
30-التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1403-هـ 1983م.

31-تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
32-تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406هـ-1986م.
33-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1413هـ 1992.
34-الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى،1393هـ-1973م.
35-الجامع في الحديث، تأليف: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري ضبط وتخريج وتحقيق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين -القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي-الرياض، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
36-الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تأليف: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان-عثمان بطيخ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة: الثانية، 1403هـ1983م.
37-الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، الناشر: طبعة

مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيد رآباد الدكن -الهند ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى، 1271هـ-1952م.
38-جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر، المؤلف: أبو عبد اللَّه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي، حققه: الدكتور أبو الحسن، نوري حسن حامد المسلاتي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1435هـ- 2014م.
39-الجواهرالثمينة في بيان أدلة عالم المدينة ، تأليف: حسن بن محمد المشاط، تحقيق: عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1411هـ-1990م.
40-الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محمد بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيد رآباد الدكن – الهند ، الطبعة: الأولى،1332هـ.
41-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، عام النشر:1394هـ-1974م.
42-خصائص المذهب المالكي لمحمد التاويل، طبع وتصميم: مطبعة آنفو-برانت، فاس، بلا تاريخ الطبعة.
43-خصائص الإسلام الذي ندعو إليه لإسماعيل علي محمد ، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2013م.
44-الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، بلا تاريخ الطبعة.
45-دراسة وتحقيق رسالة الإمام مالك إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ، رياض مصطفى، ومحمد رضوان، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد الثالث عشر-العدد الثاني، 2005م.

46-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد ، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بلا تاريخ الطبعة.
47-سنن أبي داود ، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، بلا تاريخ الطبعة.
48-سيرأعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405هـ-1985م.
49-السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى1424هـ، 2005م.
50-السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1424هـ، 2003م.
51-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف ، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ-2003م.
52-شرح علل الترمذي، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ، الناشر: مكتبة المنار-الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى،1407هـ -1987م.
53-صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ.

54-صحيح مسلم، تأليف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ -1955م.
55-صيد الخاطر، تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم-دمشق، الطبعة:الأولى ، 1425هـ- 2004م.
56-الضعفاء الكبير، تأليف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ-1984م.
57-الضوءاللامع لأهل القرن التاسع، تأليف:شمس الدين أبو الخيرمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت، بلا تاريخ الطبعة.
58-طبقات الشافعية تأليف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، 1407 هـ.
59-الطبقات الكبرى، أبو عبد اللّه محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دارالكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ- 1990م.
60-طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، بلا تاريخ الطبعة.
61-العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى،1401هـ-1981م.

62-عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي، أبو بكر بن أبي عثمان الحازمي الهمداني، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الثانية 1393 هـ- 1973م.
63-العلاقة بين الفقه والدعوة ، مفيد خالد عيد ، طباعة: دار ابن حزم، بيروت، نشر: مكتبة دار البيان، بلا تاريخ الطبعة.
64-العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، 1401هـ - 1981م.
65-علم نفس الدعوة، محمد زين الهادي، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى 1415هـ، 1995م.
66-فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، الطبعة: السلفية الأولى 1380هـ.
67-فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،الطبعة الثانية:1411هـ، 1990م.
68-فقه الدعوة في ضوء موقف جعفر أمام النجاشي، إسماعيل علي محمد ، الناشر : مؤسسة شروق للترجمة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى، 1434هـ، 2013م.
69-الفصول في السيرة، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مست، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، 1403هـ.
70-الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي،

تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى،1413هـ- 1992م.
71-لسان الميزان، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى،2002م.
72-الكنى والأسماء، تأليف: مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، أصل التحقيق: رسالة ماجستير في الحديث وعلومه بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1404هـ-1984م.
73-الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تأليف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1418هـ -1997م.
74-مؤتمر الإمام مالك بالجامعة الأسمرية الإسلامية/ ليبيا عام1335هـ - 2013م
75-مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، عبد الحليم الجندي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ الطبعة.
76-مالك تجارب حياة، أمين الخولي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، توزيع: مطبعة مصر، بلا تاريخ الطبعة.
77-مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، طبع ونشر: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1952م.
78- مباحث في المذهب المالكي، عمر الجيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1993م.

79-مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، إسماعيل علي محمد ، دار النداء، إسطنبول، الطبعة الأولى، 2014م.
80-المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ، 1995م.
81-المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار التراث، بلا تاريخ الطبعة.
82-المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، أحمد بن محمد بن الصدِّيق بن أحمد ، أبو الفيض الغُمَاري الحسني الأزهري، الناشر: دار الكتبي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1996.
83-المدونة الكبرى لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي، رواية الإمام سحنون بن سعيد عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، تحقيق: المستشار السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم، طبع على نفقة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، 1422هـ.
84-المتفق والمفترق، تأليف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى،1417هـ- 1997م.
85-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة- 1420هـ.
86-مجرد أسماء الرواة عن مالك، يليه المستدرك على الخطيب والعطا ، تأليف: يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج، أبو الحسين، رشيد الدين القرشي الاموي النابلسي ثم المصري، المعروف بالرشيد العطار، تحقيق: أبو محمد سالم بن أحمد بن عبد الهادي السلفي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة: الأولى 1418هـ- 1997م.

87-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى،1396هـ.
88-المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، تأليف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القرَضَاوي، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428هـ- 2007م.
89-مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطا، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع -المنصورة، الطبعة: الأولى1411هـ-1991م.
90-معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، بلا تاريخ الطبعة.
91-المعجم الوسيط، تأليف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية، بلا تاريخ الطبعة.
92-معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ-1979م.
93-مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، تأليف: محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، بلا تاريخ الطبعة.

94-المغني في الضعفاء، تأليف: شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، بلا تاريخ الطبعة.
95-مناقب سيدنا الإمام مالك، تأليف: عيسى بن مسعود الزواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1994م.
96-منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر تأليف: عدنان بن محمد آل عرعور الناشر: جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
97-منهجية الإمام مالك الأصولية الخصائص والآثار، تأليف: محمد بن حمادي التمسماني، المؤتمر العلمي لدار البحوث، دبي، بلا تاريخ الطبعة.
98-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد اللّه الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م.
99-الموطأ، تأليف: مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، عام النشر:1406هـ - 1985م.
100-الموطآت للإمام مالك، نذير حمدان، دار القلم، دمشق، بلا تاريخ الطبعة.
101-موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه في الصحيحين ، محمد سعيد محمد بخاري، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1428هـ، 2008م.

102-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1382هـ-1963م.
103-الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لأبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1417، 1997م.
104-ندوة الإمام مالك في دولة المغرب عام1400هـ - 1980م، تنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة فضالة.
105-النكت على مقدمة ابن الصلاح، أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي الشافعي، تحقيق: د.زين العابدين بن محمد ، الناشر: أضواء السلف-الرياض الطبعة: الأولى، 1419هـ، 1998م.
106-الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تأليف: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة -بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ.
107-وسائل الدعوة وأساليبها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والواقع المعاصر، أحمد عبدالهادي شاهين، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1443هـ-2022م.
108-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دارصادر، بيروت، 1398هـ-1978م.

## فهرس الموضوعات


مقدمة.....1

موضوع الدراسة.....2

أهمية الدراسة.....2

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها.....3

أهداف الدراسة.....3

أسباب اختيار الموضوع.....4

منهج الدراسة.....5

منهجية الدراســة.....5

الدراسات السابقة: .....5

مخطط الدراسة.....9

الفصل الأول: الإمام مالك والمقومات الدعوية في شخصيته.....10

المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك.....12

المطلب الأول: نسب الإمام مالك.....12

المطلب الثاني: مولد الإمام مالك ووفاته.....16

المطلب الثالث: أهــل بيته، ومشايخه، وتلامذته.....18

أولا: أهـــــل بيته.....18

والد الإمام مالك وأمه.....18

جد الإمام مالك.....20

أبناء الإمام مالك.....21

أعمام الإمام مالك.....23

ثانيا: شيوخ الإمام مالك وتلاميذه.....25

شيوخ الإمام مالك.....25

تلاميذ الإمام مالك.....27

المبحث الثاني: المقومات الدعوية في شخصية الإمام.....29

المطلب الأول: أسباب غير مكتسبة ساهمت فــي بناء شخصية الإمام مالك.....30

أولاً : أسرته..... 30

ثانيا: إقامته في المدينة المنورة.....33

ثالثا: توجيهه إلى طلب للعلم منذ نعومة أظفاره.....39

المطلب الثانـــي: الأسباب المكتسبة في بناء شخصية الإمام مالك..... 42

أولاً: جُلوسه بين يدي العلماء..... 42

ثانيا: جمعه بين الفقه والحديث..... 46

ثالثا: التحري والتدقيق..... 51

رابعا: كراهيته للجدل والمراء.....58

خامسا: الشجاعة في قول الحق .....62

الفصل الثاني: المرتكزات العامة للمنهج الدعوي عند الإمام مالك..... 66

المبحث الأول: العلاقة بين علوم الشريعة والدعوة..... 68

المبحث الثاني: المنهجية الدعوية عند الإمام ..... 74

المطلب الأول: منهجية الإمام في التمسك بالكتاب والسنة..... 75

المطلب الثاني: منهجية الإمام في مراعاة حال المدعوين..... 83

المطلب الثالث: منهجية الإمام في معرفة واقع المدعوين ومخاطبتهم.....92

الفصل الثالث : الصفات الدعوية وأساليبها عند الإمام مالك..... 104

المبحث الأول: الصفات الدعوية..... 106

المطلب الأول :منهجية الإمام مالك في طلب العلم.....108

المطلب الثاني: منهجية الإمام مالك في الصبر على مشاق العلم والدعوة..... 119

المطلب الثالث: الممارسة العملية لمحاسن الأخلاق عند الإمام.....124

المطلب الرابع: عناية الإمام بالمظهر والهيئة وعلاقته بمنهجه الدعوي.....128

المطلب الخامس: التطبيقات العملية لخلق التواضع عند الإمام التواضع..... 132

المبحث الثاني: وسائل وأساليب الدعوة عند الإمام مالك..... 138

المطلب الأول: الوسائل الدعوية.....139

الوسيلة الأولى: التعليم.....140

الوسيلة الثانية: التصنيف.....144

الوسيلة الثالثة: المراسلة.....147

الوسيلة الرابعة: المناظـــرة .....150

المطلب الثاني: الأساليب الدعوية عند الإمام مالك.....153

الأسلوب الأول: الترغيب والترهيب.....154

الأسلوب الثاني: القدوة.....159

الأسلوب الثالث: الموعظة الحسنة..... 163

الخاتمة.....168

أولا: النتائج .....168

ثانيا: التوصيات.....170

المصادر والمراجع: ..... 171

فهرس الموضوعات.....185